
روايات مصرية للجيب
ما وراء الطبيعة
73
أسطورة شبه مخيفة
د. أحمد خالد توفيق
Looloo
www.dvd4arab.com

المقدمة

لمصاصي الدماء عادة سيئة يبدو أنهم لا ينوون التخلص منها أبدًا ، وهي عادة الكذب ..

أنا أمقت مصاصي الدماء الكذوبين ، لكنهم جميعًا تقريبًا كذلك .. لقد قابلت عشرات منهم وبصعوبة شديدة قابلت اثنين صادقين أو ثلاثة ، ليس لدرجة أن توافق عليهم كخُطّاب لأختك أو ابنتك طبعًا .

العادة السيئة الثانية لديهم هي الوسواس القهري ، وأنا أشعر بالعصبية كلما تعاملت مع المصابين بالوسواس القهري .. في والاشيا والكاربات ينصحونك بحمل بعض الحبوب أو مسبحة انقطع خيطها في جيبك ، لتلقيها على الأرض عندما يهاجمك مصاص الدماء .. في تسع من عشر حالات ينشغل في جمع الحبوب المتناثرة مما يسمح لك بالفرار .. هذا يثير الأعصاب كما ترى ..

يجب أن تنتظر كثيرًا جدًّا حتى تقابل مصاص الدماء الأمين غير الموسوس ..

أنت تعرف كذلك عادة مصاصي الدماء .. هم لا يهاجمونك إلا لو دخلوا بيتك مدعوين .. يجب أن تفتح الباب وتدعوهم بعبارات واضحة ..

من أجل أن تسمح لهم بالدخول يكذبون كثيرًا جدًا ..

هذا الرجل على بابى الآن يقرع فى تهذيب .. يقول لى إنه يبيع مكانس كهربائية ، وإن علىَّ أن أجرب ..

كل هذا جميل .. لكن لماذا يبيع مكانس كهربية فى الثانية بعد منتصف الليل ؟.. لماذا يتكلم بهذا الصوت الأجش الغريب ؟.. نظرت من العدسة المثبتة فى الباب فرأيته .. يبدو شخصًا عاديًا لكنه ينسى تلك المرآة العملاقة المثبتة على الجدار خلفه جوار باب (عزت) ... أنا قمت بتثبيتها منذ عشر سنوات ...

فى ضوء الممر الخافت أرى أنه ليست له صورة فيها .. هذا واضح ...

العادة الثالثة لمصاصى الدماء هى كراهيتهم الشديدة للمرآة .. يقولون إنها ترمز للغرور البشرى ، لكن السبب الحقيقى أنها تفضحهم ، وتكشف حقيقة وجودهم الطيفى غير المادى ..

هذا القادم هو (بودسكو) ... لا شك فى هذا .. أعرف هذا الصوت المبحوح .. طبعًا كل مصاصى الدماء (الأصليين) يجيدون اللغات كلها .. هذا طبيعى بحكم طول أعمارهم وخبراتهم المتعددة .. هذا الأخ (بوديسكو) شارك فى الحروب الصليبية يومًا وقابل عربًا كثيرين ..

لقد اخترق فجوة ما من جانب النجوم فى مكان ما فى مصر أو رومانيا ، وجاء إلى بيتى .. لكنه غبى كعهدى به .. كل هذا يثير الريبة ويغرينى بعدم فتح الباب أو دعوته ..

دعونا منه .. سوف يواصل الطرقات ، ثم يطرق باب (عزت) . كلهم يفعل ذلك .. لو لم يظفر بالانتقام لحاول الظفر بوجبة من الدم قبل طلوع النهار ..

لنترك (عزت) فهو اعتاد هذه الأمور على كل حال ، ويمكنه أن يعنى بنفسه .. لو لم يقرع بابه مصاص دماء أو شبح أو مسخ كل ليلة لشعر بالوحدة ..

تعالوا الآن نترك الأخ (بوديسكو) اللعين ينتظر أن أدعوه ..

لنجلس فى غرفة المكتب ونحكى قصة أخرى ..

قصتنا اليوم ليست مخيفة ، بل هى مسلية ..

قد تبدو مخيفة نوعًا بالنسبة لواسعى الخيال وهم شبه نادرين ، ولهذا أعتبرها أسطورة شبه مخيفة .. منطقى أليس كذلك ؟

حدثت هذه القصة فى زيارة من زياراتى لإنجلترا . السنة ؟.. لا أذكر بالضبط ، لكنى كنت متقدمًا فى السن بالتأكيد لأن (ماجى) نفسها لم تكن صغيرة جدًا ...

(جوناثان دارتمور) .. اسم جميل كما ترون ويوحى بشىء ما .. هذا هو موضوع قصتنا هذه ..

فقط تجاهلوا هذه الدقات ، وتظاهروا بأنه لا وجود لها .. لكن لا يمزحن أحدكم أو يتظرف ويفتح الباب فجأة ويدعو بائع المكانس المتحمس للدخول .. سوف تحدث كارثة حقيقية ..

أنا أثق بكم ....

أربعة مقاعد

بقلم (جوناثان دارتمور)(*)

(*) نشرت للمرة الأولى فى مجلة (دارك سايد) فى يناير .

هذه البلدة تقع قرب (موناماوث شاير) أو (سير فنوى) كما يطلق عليها أهلها وهى نموذج لتلك القرى الأسكتلندية المملة حيث لا يحدث أى شىء على الإطلاق .. أهل البلدة متحفظون صامتون ، لكن الشراب يطلق عقال ألسنتهم ، ولكن يجب أن تجد دومًا الوقت المناسب واللحظة الملائمة .

كان (جيم كونلى) يفكر فى هذا وهو يخرج من الحانة فى تلك الساعة من مساء الأحد . منذ جاء من الولايات المتحدة إلى (مونماوث شاير) ضمن عمله فى ذلك الكتاب اللعين عن القلاع الأسكتلندية ، رأى الكثير مما أثار خياله لكنه كذلك رأى الكثير مما خنق روحه . وقد توصل إلى نظرية سهلة تقول : تاريخ هؤلاء القوم مثير وحاضرهم هو الملل بعينه .

أمريكى فى قرية أسكتلندية .. هذه ظاهرة مثيرة فعلاً . هو رجل لطيف فعلاً مرح ، وهم كذلك ، لكنهم يشكون فى الغرباء دومًا ولا يتكلمون كثيرًا .

فقط مع (هيلين) تختلف الأمور .. إنها فتاة حسناء بالمعنى الحرفى للكلمة . لقد عرفها فى النزل الذى أقام به لدى مسز (بارتريدج) . هى ابنتها الشابة الممتلئة بالعافية ، وكان (جيم) معتل الصحة طيلة حياته لذا كانت الصحة تثير انبهاره ربما أكثر من الجمال .

اعتاد أن يخرج مع (هيلين) وذهب معها للمرقص .. ثم للكنيسة .. لا .. ليس بغرض الزواج طبعًا ولكن لحضور القداس .. ثم صارا متلازمين تقريبًا .. (هيلين) والرجل الأمريكى .. لم يعترض أحد ..

لم يحبها قط .. لا ينوى أن يحبها .. فقط هو يزجى الوقت مع وجه صبوح .

مساء السبت خرجا من الحانة ، فقال لها إنه راغب فى أن يذهبا لدار السينما . دار السينما فى هذه البلدة الصغيرة دار ضيقة صغيرة بدورها ، وهى تقدم ثلاثة عروض مساء السبت . لهذا تكون مزدحمة فعلاً .. كل البلدة تأتى لرؤية الأفلام ، فالتلفزيون لم يستطع بعد أن يقهر سحر السينما .

قالت (هيلين) :

ـ « إنهم يعرضون فيلم (الفك المفترس) هذه الليلة .. »

كانت هذه الفترة التى شهدت حمى فيلم (ستيفن سبيلبرج) المرعب عن سمكة القرش التى تهاجم بلدة ساحلية هادئة ، وكان هو قد رأى الفيلم فى الولايات مرتين ولم يرق له لهذا الحد .. بدا له مجرد فيلم تسجيلى عن صيد سمكة القرش البيضاء العظيمة . فقط موسيقاه رائعة . ثم قدر أن الفيلم ملىء بالخضات .. سوف

تقترب منه الفتاة أكثر وتطلب حمايته . هم هنا لا يعرفون سينما السيارات Drive ins التى كانت لا تعرض إلا أفلام المسوخ ، والغرض الوحيد لهذا هو أن تخاف الفتيات فيلتصقن بالأولاد أكثر طلبًا للحماية . لا شك أن (الفك المفترس) سوف يلعب هذا الدور .

قال لها وهو يتجه لشباك التذاكر وسط الزحام :

ـ « برغم أننى رأيته مرتين فسوف أراه للمرة الثالثة من أجلك .. »

ضحكت كاشفة عن أجمل وأبيض صف أسنان فى نصف الكرة الأرضية الشمالى .. و(جيم) كان يقدر الأسنان الجميلة لأن أسنانه نخرة مسوسة متآكلة .

الفتاة تقف وسط الزحام تلوح لهذه وتحيى ذاك .. الكل يعرف الكل ... هو الغريب الوحيد هنا ...

بائعة التذاكر العجوز شائبة الشعر نظرت له من فوق إطار العوينات العلوى واختارت مقعدين فى نهاية الصالة ورسمت علامة X عليهما ..

قال (جيم) :

ـ « معذرة .. لكنى أريد أن أجلس فى مقعد أمامى لأسباب بصرية .. »

لم تتكلم المرأة كأنها خرساء ، لكنها أشارت بالقلم إلى اللوحة التى ازدحمت عليها علامات X بما معناه أنه لا يوجد مكان آخر ..

ـ « أرجو أن تجربى .. »

تنظر له فى كراهية كأنه من الفحش أن يكون المرء أمريكيًا .. أية وقاحة هذه ؟..

ثم هزت رأسها وقالت :

ـ « لو أردتما الجلوس متفرقين فهذا شأنك .. »

هنا أشار إلى الصف الأول .. هناك أربعة مقاعد لا توجد عليها علامة ما ..

ـ « ماذا عن هذه المقاعد ؟ »

ـ « قريبة من الشاشة جدًا .. »

قال فى ثبات :

ـ « كما قلت أنت : هذا شأنى .. »

قالت فى نفاد صبر:

ـ « هذه المقاعد محجوزة .. هل تنوى أخذ المقعدين الآخرين أم لا ؟ »

ـ « من حجزها ؟ »

ـ « قلت : هى محجوزة .. والآن ؟ »

هز رأسه فى استسلام ودفع ثمن التذكرتين ، ثم عاد لصغيرته الواقفة تثرثر مع رجل ضخم يبدو كأنه عامل ...

قال لها :

ـ « لم أجد تذاكر إلا فى صف متأخر .. »

ـ « لا مشكلة .. أى مكان يصلح .. »

ـ « هذا لأن نظرك حاد .. »

وكان (جيم) يقدر حادى النظر لأن إبصاره ضعيف منذ كان فى المدرسة الابتدائية ، لكنه كذلك يمقت أن يضع العوينات لأنها تشعره بأن فأرًا يعض قصبة أنفه طيلة الوقت ..

* * *

هكذا قضى ساعتين وأكثر مع القرش الأبيض العظيم الذى يحاول التهام الرجال الثلاثة ، بينما تتعالى موسيقا (جون ويليامز) الرائعة .. دا دم دا دم دا دم ..

تشابكت أناملهما مرارًا وأدرك فى رضا أنها خائفة فعلاً . ثم وقعت عيناه على الصف الأول فى ضوء الشاشة . أيًا من كان

ذلك الذى حجز المقاعد فهو لم يأت .. السينما مزدحمة فعلاً وحارة وصوت التهام الفيشار يصم الآذان ، لكن هذه المقاعد الأربعة خالية كأنها لا تنتمى لعالمنا هذا ..

هكذا لم يعد يعرف ما يدور على الشاشة .. ظل ينظر لتلك المقاعد فى اهتمام .. ثم انتهى الفيلم فأضيئت الأنوار .. وضعت (هيلين) البول أوفر على كتفيها ، لأنه إن كانت السينما حارة فالخارج بارد . الطريقة المثلى لكى تصاب بالتهاب رئوى وتموت .

خرجا وسط الزحام من الباب الزجاجى المجاور لشباك التذاكر ، وكاد يتكلم عن الفيلم ، عندما رأى رجلاً غريب المنظر لا يبدو من أهل البلدة يقف أمام شباك التذاكر ويتبادل حوارًا غاضبًا مع الموظفة العجوز :

ـ « لكن متى حجزوا هذه المقاعد الأربعة ؟ »

قالت المرأة فى برود :

ـ « هناك اختراع اسمه الهاتف لو لاحظت هذا .. »

قرب عينيه الواهنتين من الزجاج ، ونظر فرأى إصبع الرجل على ذات المقاعد فى الصف الأول .. هذا مستحيل ! التفت مسرعًا إلى (هيلين) وصاح :

- « نفس المقاعد !.. مستحيل أن يكون هناك من حجزها بهذه السرعة ، ولو فعل فلن يحجز المقاعد ذاتها ، ولن يحجز ذات العدد ! »

نظرت له بعينين ناعستين مرهقتين من عناء المشاهدة مع لمسة هناء لا شك فيها ، وقالت :

- « عم تتحدث ؟.. »

- « المقاعد التى ظلت خالية فى العرض الأول .. ما زالت خالية .. »

- « وما شأننا بهذا ؟.. دعنا نتكلم عن الفيلم .. »

- « ألا ترين شيئًا غريبًا فى هذا ؟ »

- « نعم .. من الوارد أن يحجز المرء ثلاث حفلات متتالية .. لعله رجل ثرى يريد أن يضمن مكانه مهما تأخر فى القدوم .. »

قال وهو يحك ذقنه :

- « الأثرياء لا يتصرفون بهذه الطريقة .. »

تأبطت ذراعه وقالت وهى تجره جرًا مبتعدين :

- « دعنا نرحل .. »

الحقيقة أنها كانت سعيدة ناعسة فاقدة الهمة كبطة سعيدة ، وللمرة الأولى شعر باشمئزاز شديد منها .. سعيدة لزجة كبطة .. نعم .. بطة ..

مشيا معًا إلى الخارج وسط زحام المغادرين والداخلين والليل البارد ، وفجأة قال لها وهو يحرر يده :

- « سأستوقف لك سيارة أجرة .. »

- « لماذا ؟.. كنت أحسبك ستوصلنى للنزل .. »

- « سوف ألحق بك حالاً .. هناك أشياء يجب أن أقوم بها .. »

صفر لسيارة أجرة واستوقفها ، ثم جرها من يدها ليلقى بها فى المقعد الخلفى وأغلق الباب .. تنظر له فى دهشة وخيبة أمل عاجزة عن فهم هذا الذى شغل باله . سألحق بك حالاً .. قولى لوالدتك إننى عائد بعد قليل فدعيها لا تغلق الباب بالجنزير .. باى ...

ثم عاد إلى شباك التذاكر حيث الموظفة العجوز ترمقه بكراهية وغل وحقد .. هز رأسه محييًا ، وانحنى ليكلمها عبر الفجوة وهو يتحسس ذقنه :

- « مساء الخير يا مدام .. طبعًا من تحصيل القول أن أقول إننى أمريكى .. هه ؟.. نحن قوم مجانين ننفق المال بلا حساب من أجل أوهام .. »

نظرت له فى صمت وشك ، لكن عينيها وافقتاه على كل حرف ..

ـ « لهذا أشعر بأنك قد توافقين على قطع تذكرة لى فى واحد من هذه المقاعد الأربعة بالصف الأول .. أنا فعلاً لم أستمتع بالفيلم فى الحفل الأول .. »

وعبر الفجوة دفع لها برزمة من الأوراق المالية لا بأس بها .. لكنها بحركة آلية وبلا لحظة تردد دفعت المال فى الاتجاه العكسى ليخرج له ..

ـ « هذه المقاعد محجوزة .. »

ـ « فى حفلين متواليين ؟.. هذا يبدو غريبًا .. »

ـ « لا غريب فى هذه المهنة .. كل إنسان يتصرف حسب مزاجه .. فقط لن أعطيك مقعدًا ثم يصل الشخص الأصلى لأتلقى اللوم .. »

ظل ينظر لها راجيًا ، لكنها لم تعد النظر له .. وبدا واضحًا أن المحادثة انتهت ..

قال بلهجة اليائس :

ـ « إذن أريد تذكرة أقرب ما يكون للشاشة .. »

دون كلمة أخرى ناولته التذكرة ، وسرعان ما وجد نفسه يتقدم فى قاعة العرض ليجلس فى الصف الثالث . هذه رابع مرة

يرى فيها فيلمًا لم يحبه كثيرًا والسبب فضوله الذى لايرتوى .. منذ طفولته قالوا له إن فضوله سيقتله يومًا ما .. فضول قط .. فضول يدفعه لأسوأ المواقف وأخطرها وأسخفها .. الموقف الحالى من الطراز الأخير . لو رأى السمكة ثانية وسمع عبارة (نحتاج لقارب أكبر) لأفرغ معدته .

لكنه جلس .. انتظر حتى بدأ الفيلم .. يعرف أن المشاهد الأولى تحدث فى الظلام على الشاطئ .. هكذا بدأ يزحف فى خفة ليغادر مقعده ، ثم تسلل فى هدوء إلى الصف الأول ليجلس على مقعد من تلك المقاعد الأربعة ..

لا يوجد شىء غريب مريح أو خطير بصددها .. مجرد مقاعد ..

الحمد لله أن قاعدة (عدم مغادرة القاعة قبل انتهاء العرض) غير موجودة هنا ، وإلا لجن .. سوف يجلس بضع دقائق ثم يرحل ..

أشرق ضوء الصبح على الشاشة ووجد حارس الشاطئ جثة الفتاة و ... هنا سمع (جيم) من يتكلم من خلفه .. امرأة أسكتلندية من الطراز الهستيرى شبه المجنون تقول فى ذعر :

ـ « إنه هو ..!.. هو يا (إيان) !.. لا شك فى هذا ! »

ـ « مجرد خطأ يا عزيزتى .. »

ـ « بل هو ! ... الأب ذاته ..

ثم دوى صراخها عاليًا رفيعًا يجمد الدم فى العروق ... صراخ عال جدًا لا يتوقف جعل النــاس جميعًا ينهضون ويتساءلون .. وأضاء أحدهم الأنوار ، بينما أصوات الفيلم مستمرة ..

هنا أدرك (جيم) أن السينما كلها تنظر له فى رعب ..

ومن مكان ما ظهر المدير العجوز النحيل صارم الوجه ومعه البلاسير ، اتجه نحوه ووقف أمامه على مسافة وتساءل :

- « هل هذا مقعدك يا مستر ؟ »

قال بارتباك :

- « لا .... »

- « إذن أرجو أن تعود لمقعدك أو تغادر قاعة العرض .. »

نهض (جيم) واتجه خارجًا من القاعة بينما نظرات الكراهية أو الرعب تلاحقه .. ماذا هنالك ؟.. كل هذه الأهمية على شخص بدّل مقعده ؟

سمع المدير يقول بصوت عال :

- « ليس من خطر يا سادة .. إنه مشاهد أمريكى بدّل مقعده .. لا تقلقوا .. أرجو أن تعاودوا متابعة الفيلم ! »

قالت المرأة ذات الصوت المميز :

(ملحوظة : هنا صفحة ممزقة من الكتاب الأصلى ، لذا أعتذر للقارئ إذا وجد وثبة غير مريحة فى الأحداث)

.. واتجهت (هيلين) إلى النافذة لتغلقها وقالت بطريقة عارضة :

- « لهذا يحرصون على عدم استعمال هذه المقاعد للأبد .. هناك اتفاق عام فى البلدة أن تترك هذه المقاعد من أجل آل (مكميلان) .. لكن أحدًا لا يتكلم عن الواقعة أبدًا ، والأطفال يشبون وهم يعرفون أن عليك ألا تجلس هناك .. »

أطفأ (جيم) لفافة التبغ بأن لامس سطح القهوة فدوى صوت (تش !) ثم دفن الباقى فى المطفأة .. تلك العادة التى كانت تضايق زوجته كثيرًا وربما ساعدت بشكل ما فى الطلاق ..

قال لها :

- « ولماذا لم يجر صاحب السينما أية تجديدات ؟ »

- « لابد أنه يخاف ذلك .. لا يريد استفزازهم ، وقد وجد أن الطريقة تعمل وأنه لا خطر هنالك .. لذا هو مصمم على أن يظل الوضع كما هو بلا تغيير .. »

عندما غادرت (هيلين) الغرفة راح يرمق السقف مفكرًا ..

القصة كلها تمت لعالم الأساطير الريفية التى يرددها البسطاء . فى العام 1957 دخلت أسرة ماكميلان السينما لمشاهدة فيلم (موبى ديك) . قصة (هيرمان ملفيل) الشائقة فى فيلم من بطولة (جريجورى بيك) . أقول إن الأسرة دخلت السينما لترى الفيلم ولم تخرج قط ..

إن وقائع قصة الحريق مروعة ، لكن الكل يرددها فى ثبات . هذه القصص التى لا تتغير أبدًا تكون قد حدثت فعلاً على الأرجح . هذه أربعة مقاعد .. فى الوسط يجلس (جون مكميلان) جوار ابنه ذى السنوات السبع ، وجوار الأب من الجهة الأخرى تجلس الطفلة ذات السنوات التسع . ثم الأم .. الأب مولع بأن يجلس جوار ابنه ليحكى له كل شىء ..

فى الصف الأول يصعب أن تفلت من اللحظة التى بدأت فيها الشاشة المصنوعة من قماش أبيض سريع الاشتعال فى الاحتراق .. تطاير الشرر واللهب نحو الأسرة الجالسة .. لماذا احترقوا هم بالذات بسهولة ؟.. لا أحد يعرف التفسير بدقة ، وهناك من يرجح أن المقاعد الأربعة بالذات كانت ملوثة بطبقة من مزيل الطلاء المتطاير سهل الاشتعال .. ربما هو بنزين .. ربما ... لا أحد يعرف السبب فعلاً ..

رأى زبائن السينما النار تمسك بالأسرة الجالسة ، ثم تحاول التسلق لهم .. نهض الجميع وراحوا يصرخون ويجرون يمينًا ويسارًا وخارج السينما وقف الناس يستجمعون أنفاسهم والنسوة يبكين .. جاءت سيارة الإطفاء بعد قليل واقتحم رجالها القاعة التى صارت خالية ، ليجدوا أربع جثث متفحمة فى الممشى أمام الشاشة .. يبدو أن أفراد الأسرة نهضوا وراحوا يحاولون الفرار أو إطفاء أنفسهم ثم غلبتهم النار فسقطوا .. من رحمة الله أن يكونوا ماتوا مختنقين أو بالصدمة العصبية لا احتراقًا ..

هذا حادث مؤسف قاس وقد ظل حديث البلدة لفترة لا بأس بها .. قال التحقيق إن ماسًا كهربيًا أدى لاحتراق الشاشة ، وقد حدث كل شىء بسرعة بالغة ، لكن أحدًا لم يستطع اتهام صاحب السينما بالتقصير ..

ثم قام صاحب السينما بإعادة افتتاحها . لم تتلف أية مقاعد فى القاعة لذا احتفظ بها كما هى وإن أعاد الطلاء وقام بتركيب شاشة جديدة طبعًا ..

كل هذا جميل ، فالحياة يجب أن تستمر .. يجب أن ننسى صراخ الطفلين وعواء الأم وأنين الأب .. يجب أن ننسى رائحة الدخان واللحم المحترق ..

يجب أن ننسى كل هذا ، لكن الماضى له عادة سيئة هى أنه يعود ليذكرك بما كان .

عام 1958 عندما جلست (مارى ساندرز) المراهقة الشابة فى مقعدها تشاهد فيلم (قارب النجاة) تحفة (هتشكوك) مع صديقتها ، شعرت بأن حرارة المقعد تتزايد تدريجيًا .. اعتقدت أن هذا وهم ، ثم فطنت إلى أن الدخان يتصاعد من بنطالها فعلاً .. صرخت وهبت واقفة ..

أما صديقتها فتؤكد أنها شعرت للحظة فى ظلام السينما بأن يدًا باردة تمسك بمعصمها . نظرت لجانبها فلم تر أحدًا لكن اليد كانت قوية صارمة وأرغمتها على البقاء مكانها لفترة قبل أن تحررها لتلحق بصاحبتها ..

الذين رأوا تلك الليلة الرهيبة عام 1957 تذكروا على الفور صرخات الأسرة والنار .. الحق أن المشهد لم يختلف كثيرًا ..

أما الأذكياء منهم فلاحظوا أن الفتاتين احتلتا مقعدين من أربعة المقاعد التى احتلتها الأسرة .

بعد عامين تحدث واقعة مشابهة .. وبعد عام واقعة أخرى .. فى هذه المرة اشتعلت النار فعلاً فى ظهر (ريتشارد مكورميك) المحاسب الذى احترق بالكامل تقريبًا ، ونقل للمستشفى ليلفظ أنفاسه هناك ..

هكذا عرف الجميع الحقيقة : هذه المقاعد غير مخصصة للجلوس .. هذه المقاعد مخصصة للأسرة المحترقة .. من يجلس هناك يجازف بأن يحترق هو نفسه ..

هذه المقاعد محجوزة للأبد ...

منذ ذلك التاريخ عرف مدير السينما أن الحياة يمكن أن تمضى بانتظام . يمكنك أن تعقد تحالفًا مع الأشباح بشرط ألا تخرقه أبدًا .. فى الوقت نفسه لا أحد يتكلم عن القصة .. فقط يشب الأطفال وهم يعرفون أن عليهم ألا يجلسوا فى هذه المقاعد ..

مدير السينما ما زال حيًا وفى السبعين الآن ، لكنه لقن الدرس لأولاده ، ولو ظلت السينما باقية حتى تقوم الساعة فلن يجلس أحد هنا .. إن المقاعد محجوزة لأسرة ماكميلان ..

طبعًا كان هذا الحال حتى ظهر ذلك الأمريكى الفضولى السخيف ..

* * *

فى الظلام مشى (جيم) .. الظلام والبرد ..

كان يعرف أن فضوله يقوده للمصائب دومًا ، فلو أنه عاش فى زمن الأساطير لصار (برومثيوس) أو (إيكاروس) .. لو مُسخ حيوانًا لما صار إلا قطًا ..

لكنه مستعد أن يضحى بكل شىء من أجل لحظة معرفة ..

دار السينما جاثمة فى الظلام لأنها الثالثة بعد منتصف الليل . ضم المعطف على صدره ورفع الياقة ليتقى الريح الباردة ، ثم اقترب من البناية الصامتة ..

لا شك فى هذا .. يسمع الصوت خافتًا من بعيد لكنه موجود .. الموسيقا المميزة لقدوم القرش فى فيلم (الفك المفترس) .. دا دا دا دم .. دا دا دا دم ...

سواء كان مدير السينما هو الذى قام بتشغيل الفيلم ، أم أن قوى خفية قامت بذلك . المهم أن الفيلم يعرض الآن على قاعة خالية .. ليست خالية تمامًا ..

أخذ شهيقًا عميقًا ودار حول البناية .. يعرف أنه رأى تلك النافذة الصغيرة بالطابق الأرضى ، وكانت سهلة الكسر .. أخرج الأداة التى حملها ودسها بين مصراعى النافذة الصغيرة وضغط وهو ينظر خلفه فى حذر . لا أحد .. المطر ينهمر ولن يجازف مجنون بالمشى فى الشارع فى هذا الوقت .

سواه ..

دس جسده فى الفتحة ، ثم أخرج الكشاف .. صوت الفيلم عال وواضح الآن ..

كان قد كون نظرية لا بأس بها .. الأسرة ماتت أثناء عرض فيلم (موبى ديك) .. هناك من احترق عندما عرض (قارب النجاة) ... باختصار .. يبدو أن القصة تتكرر كلما عرض فيلم فيه محيط وأمواج وغرق .. فما أفضل ليلة ممكنة للظهور سوى الليلة التى يعرض فيها فيلم (الفك المفترس) ؟

لو كان صاحب السينما هو الذى شغل هذا الفيلم ، فهو يعرف الحقيقة .. إنه يسلى الأشباح طيلة الليل ... ولو كانت الأشباح هى التى شغلت الفيلم فهى تحبه فعلاً ..

هذه هى الصالة الخالية .. تقريبًا ...

يقف فى نهايتها وينظر ..

هناك قرب الشاشة .. هناك على المقاعد الأربعة التى يعرفها .. يراهم جالسين .. هنا طفلان وبالغان ... أسرة ماكميلان كاملة العدد تشاهد الفيلم ..

على الشاشة تثور الأمواج ويهتز القارب .. بينما سمكة القرش تثب برأسها من الماء .. نحتاج إلى قارب أكبر ..

يمشى فى بطء عبر الممر نحو المقاعد الأمامية ..

لابد أن صوت قدميه كان عاليًا .. لابد أنهم سمعوه برغم الضوضاء ...

عندها استداروا نحوه .. وبرغم الإضاءة شبه المعدومة فإنه رآهم .. عندها أدرك أنه ارتكب خطأ عمره ....

لكنه تأخر .. تأخر كثيرًا فعلاً ...

تمت

الجزء الأول

مجموعة لطيفة

-1-

عندما أذهب إلى إنجلترا فـى مهمـة علميـة ، يكـون أول شـىء أفعله هو أن أتصل بـ (ماجى) .. أخبرها أننى هنا على أرضها ، وإننى ما زلت على العهد ، وإننى انتظر ...

عندها تأتى (ماجى) ...

مـن موضـع مـا ، تنفض براعم الأزهـار التـى التفـت حولهـا ساقيها منذ الأزل ، وتنفض طيور السنونو التى تحلق حولها فى شىء من دلال ، ثم تزيل النجـوم والشهب التى تمسكت بخصـلات شعرها .. ربما تتحرك من قاع المحيط حيث أحاطت بها الشـعاب المرجانية بانتظار لحظة اللقيا ... ربما تفتح عينيها فتحلق ذرات الضوء الغامضـة التـى يرونهـا فـى المسـتنقعات ليـلاً ... ومـن شعرها تفوح رائحة زهر البرتقال ..

ربمـا تمشـى فيتخلل الفيروز والعنبر أصابع قدميهـا ، بينمـا الحيتان تلفظ المزيد من عنبرها علـى الشـط لتتعطر بـه .. ربمـا تتمطى فتتهاوى أرواح الأشرار التى تبحث عن فريسة تفتك بها ، وتنغلق المقابر التى كـانت موشـكة علـى أن تقـيء محتوياتهـا .. ربما تزفر فيسقط الظلام صريعًا عند قدميها ..

من هناك .. من مرتفعات (جرامبيان) تنهض سيدة الأحلام .. سيدة الليل .. سيدة الديجور ... قادمة فى تؤدة نحو اللقاء ..

قادمة نحو ذلك الحمار المحظوظ الـذى قطـع كـل هـذه البحـار والوديان من أجلها ..

هذا الحمار ـ بلا فخر ـ هو أنا ..

* * *

(ماجى) هنا ...

الوجـه النبيل النحيـل الـذى يبـدو كأنـه ألهـم دسـتة مـن فنـانى عصر النهضة ودستة من أخوة (ما قبل رافائيل) ...

لابـد أن (مـايكل أنجلـو) رآه وحـاول أن ينقلـه إلـى الحجـر .. ساعات وساعات يحـاول ثم ألقى بالإزميل وراح يبكى ... لابد أن (موتسارت) قرر أن يجعله مسموعًا .. أول وجـه مسموع فـى التـاريخ .. راحـت أناملـه الرشيقة تجرى علـى مفـاتيح البيـانو السوداء فى تلـك الليلة فى (فيينـا) ، ولابد أنه شرب الكثير جدًا من الخمر ، وفى النهاية مع طلوع الصبـاح تهـاوى مرهقـا فـوق المفاتيح وبكى .. ارتطم رأسه بالمفاتيح فدوى صوت رهيب ...

ترررررررران !

لابد أن (بيتهوفن) جرب حظه .. لكن روعة السيمفونية التى كتبها أصابته بالصمم .. لم تتحمل أذنه سماع هذه الروعة ...

لابد أن (فان جوخ) جرب أن ينقل هذا الوجه لقماش الرسم .. جرب عدة أيام ، وفى النهاية أخرج المسدس وألصق الفوهة الباردة بجمجته وضغط الزناد ...

سيدة الليل تمشى فى تؤدة .. يمكنك بسهولة أن تعرف السبل والوديان التى قطعتها لأنك ترى كيف استعادت النباتات عافيتها وكيف ذابت الثلوج ....

إنها تبتسم ...

لأن الوغد مجدود الحظ قد جاء من شمال أفريقيا من أجلها ..

هذا الوغد هو أنا ..

* * *

(ماجى) هنا ...

القامة الفارعة النحيلة وأصابع اليدين الطويلتين الشفافتين حيث يمكنك أن ترى كل وريد وكل عصب ..

صحيح أن بعض التجاعيد غزت الوجه والتفت حول الثغر لكن هذا كل شىء .. بينما ذات الفترة الزمنية حولتنى إلى مومياء ثبت لها أحدهم زنبركًا لتتحرك وتتكلم ..

هكذا التقينا فى (لندن) أولاً ثم استضافتنى فى قصر أبيها الذى شهد أروع ذكرياتى .. كنت قد انتويت أن أطيل إجازتى هنا .. ربما أقضى شهرًا أو أكثر .. فقط المجانين يتركون الفردوس بسرعة ..

قالت لى بلهجتها الراقية التى تذكرنى بشىء ما لا أعرفه :

- « أنت تغيرت كثيرًا .. فى كل مرة تتغير .. ما زالت الروح كما أعرفها ، لكن الوعاء الخارجى فى أسوأ حال .. هل أنت متأكد من أنك لا تنام فى خلاط أسمنت ؟ »

فى كل مرة تقولها لى لذا قلت :

- « وأنت لم تتغيرى بتاتًا .. ما زال الوعاء الخارجى أجمل من الروح ، والروح أجمل من الوعاء الخارجى .. هل أنت متأكدة من أنك لا تنامين فى بطن فراشة ؟ »

نظرت لى طويلاً بتلك العينين الزرقاوين وهمستْ بينما خصلات شعرها تتطاير مع أنسام الليل :

- « للأبد ؟ »

- « ماذا ؟ »

- « هل ستظل تحبنى للأبد ؟ »

قلت فى لهفة :

ـ « وحتى تحترق النجوم .. وحتى ..... »

هنا ـ كالعادة ـ دوى صوت نفير السيارة .. سائقها الذى كان ينتظرنا قد أعد كل شىء وهو يعلننا أن الوقت قد حان للعشاء . . .

تأبطت ذراعها وفتحت لها باب السيارة كأننى المغامر (والتر رايلى) أو فارس وسيم من القرون الوسطى ، ثم درت حول السيارة كأننى (عماد حمدى) فى أفلام الخمسينات ، واندسست فى المقعد جوارها ..

ـ « إلى أين نحن ذاهبان ؟ »

ـ « سوف نمارس بعض الاجتماعيات .. »

بدا على الرعب .. أنا أثق بها لدرجة إننى لا أسأل كثيرًا .. لو قالت لى : سوف نذهب لنسكب عليك البنزين ثم نشعل فيك النار ، أو : سوف نفتح قفص الأسود فى حديقة الحيوان وندخلك ثم نغلق الباب ، لوافقت على الفور .. لابد أن هذه مصلحتى ..

لكن الاجتماعيات ؟

أدركتْ مدى هلعى فقالت ضاحكة :

ـ « لا تخف .. ليس لهذا الحد .. هناك مجموعة محدودة من الأصدقاء سوف تقابلهم وتمضى معهم ثلاث ساعات بعدها تعود وتنام .. »

ثم راحت تعد على أناملها الطويلة :

ـ « (السترى ديلان) .. رسامة عانس .. لا تنس أننى أنا نفسى عانس شمطاء .. »

ـ « يمكنك أن تغيرى هذه الصفة فى ربع ثانية لو أردت .. »

ـ « ومن قال إن هذا يضايقنى ؟.. هناك كذلك (مادلين كارلستون) .. وهى أديبة متزوجة من (أنتونى كارلستون) وهو عاطل بالوراثة ، لكن زوجته تملك جبلاً من المال وقصرًا جميلاً ... هناك (جوناثان دارتمور) ، وهو كاتب قصصى .. هناك (مايكل شلسنجر) وهو موسيقار مشهور .. على الأقل فى شبه الجزيرة .. هناك د. (نورمان هيرتفورد) وهو جراح أعصاب .. »

ـ « كلهم فنانون ؟ »

ـ « باستثنائى ود . (نورمان) .. نعم .. »

شعرت بخيبة أمل وضيق .. أعرف هذا الجو العصابى جيدًا .. جو الفنانين الغربيين الذين يعيشون حياة من الملل والتحلل الأخلاقى ويدمنون الخمر والمخدرات ثم ينتحرون بلا سبب واضح .. يجلسون لشرب الكوكتيل ثم ينفجرون فى الضحك فجأة وتدمع عيونهم ، ثم ينفجرون فى بكاء حار ..

جو مقزز يبعث على الجنون ..

الأسوأ أن هذه الطبقة تعيش فى أبراج عاجية ، نائية عن المجتمع ويتعامل أفرادها بتعال واضح .. نحن من الصفوة .. من الانتلجنسيا .. لنا الحق أن ننحرف ونفجر ، ولنا الحق أن ننحل لأن مقاييس الأخلاق البرجوازية لا ينطبق علينا .. الأخلاق لرجل الشارع فقط ..

نعم .. أنا أعرف هذه النوعية وأفهمها وأكرهها بجنون ..

على كل حال لو انتظرنا بعض الوقت لانتحروا جميعًا ، وإنه لشىء مغر .. يعنى لو تأخرنا عن الموعد نصف ساعة لأطلقوا الرصاص على رءوسهم بينما تفضل النساء تناول السم .. هكذا نجد خمس جثث تنتظرنا ونستريح ، طبعًا قبل أن يصل المفتش (مكالستر) من سكوتلانديارد ليشك فىّ أنا ..

قلت لها :

ـ « هل من أمل أن ينتحروا قبل أن نصل هناك ؟ »

فهمتْ على الفور ما أريد قوله ، فضحكت كثيرًا وقالت :

ـ « لا تخف .. هم ليسوا بهذا السوء .. لو كانوا كما تظن لما عرضتك لهذه التجربة القاسية .. »

لكنى كنت أعرف أنها حسنة النية أحيانًا ..

ـ 2 ـ

السهرة كانت كما توقعتها وألعن .. بالفعل كانوا مجموعة عصابية من العباقرة الذين يتأرجح مزاجهم بين المرح المجنون والاكتئاب بلا سبب .. مزاحهم ليس مزاحى .. ما يروق لهم لا يروق لى .. ما يحزنهم لا يحزننى .. بالفعل لو طلبت منى ماجى أن أضع رأسى بين فكى تمساح لكانت أكثر لطفًا ...

(مايكل شلسنجر) الموسيقى ليس على ما يرام .. الإيشارب الحريرى حول عنقه والميوعة التى يتكلم بها مع رفع الحاجبين وزم الشفتين فى (قرف) .. ليس فيه شىء من رجولة الرجال ولا أنوثة النساء .. ثم إنه قد عزف فعلاً .. جلس على البيانو وعزف مقطوعة غريبة جدًا .. لم ترق لى على الإطلاق لكنهم انبهروا بها .. فى ذلك الزمن كان كل شىء غريب يعتبرونه (سايكيدليك psychedelic) وعبقريًا ..

الرسامة كانت خشنة مسترجلة تدخن كمدخنة مصنع يابانى ، ولا تكف عن الاستشهاد بالكتاب الفرنسيين .. ذكرتنى ملامحها بملامح الفنان المصرى (محمد عوض) ، فيما عدا أن (محمد عوض) كان بلا شارب طبعًا ... على فكرة كانت هذه السهرة فى دارها ..

(مادلين كارلستون) الأديبة كانت على شىء من الجمال ، لكنها الأكثر جنونًا .. وفى لحظة من اللحظات طوحت بحذائها لتقف حافية فى وسط القاعة ، وصرخت : صمتًا !!.. ثم راحت تهز شعرها كأنها تسمع موسيقا خفية من مكان ما .. ظلت فى هذا الوضع عشر دقائق كاملة ..

قلت لنفسى إنه إذا كان كل هذا الجنون مهمًا لصناعة الفن ، فليذهب الفن للجحيم .. هؤلاء القوم على كل حال يعانون حالة متقدمة جدًا من الشعور بالعبقرية .. يصعب أن ينزلوا من عليائهم .. بالنسبة لهم أنا شخص عادى ممل عاطل من المواهب ، ولا شك أنهم سيسألون ماجى فيما بعد عما راق لها فى هذا النصب التذكارى العجوز الأصلع .. أوه لا لا لا ..

د. (نورمان) كان يبدو موحيًا بالاحترام .. كهل فى الخمسين أشيب الشعر وسيم جدًا .. لو كنت تذكر شكل (ركس هاريسون) فقد أرحتنى من الوصف .. له صوت عميق مؤثر ونظرات ثاقبة ، لكنه صموت جدًا متحفظ بشدة .. لو كان قد خطر ببالك أننا سنصير صديقين لأننا طبيبان فأنت مخطئ .. أعتقد بالفعل أن جراحى الأعصاب يكونون أكثر برودًا وثباتًا من عامة الناس كما نقرأ .. عرفت كثيرين منهم فى الولايات المتحدة ، فكانوا يعيشون بعيدًا عن الناس ومعظم حياتهم فى غرف الجراحة التى

تم تبريدها ، حيث قد تستغرق الجراحة خمس عشرة ساعة ، وكانت تسليتهم الأساسية عمل قصور من أوراق اللعب .. هذا تمرين لثبات الأعصاب يمكن أن يغير شخصيتك فعلاً ...

الشخص الوحيد الذى بدا لى لا بأس به نوعا كان ذلك القصصى (جوناثان دارتمور) .. كان فى الخمسين له وجه هادئ مريح وعينان ذكيتان .. أصلع الرأس لذا عوض هذا بإطالة الشعر الباقى ليغطى كتفيه ، لكنه فيما عدا ذلك بدا رصينًا ..

كان واقفًا يتابع العزف الردىء جدًا على البيانو وكأس فى يده تسبح فيه زيتونة .. لا علاقة لى بهذا (الهباب) لكن معنى ذلك أنه يحمل كأس (مارتينى) كما تعلمت ..

دنوت منه وسألته بصوت هادئ :

- « أنت قصصى . يؤسفنى أننى لم أقرأ لك من قبل فأنا آت من ثقافة مختلفة .. ما نوع القصص التى تكتبها ؟ »

هز رأسه وابتسم وقال :

- « لا توجد أنواع من القصص .. هناك قصة جيدة وقصة رديئة .. »

إنه هذا الرد الجاهز (الحمضان) لدى الروائيين .. يقولونه فى كل مناسبة .. تمالكت أعصابى وعدت أسأله :

- « أعنى : هل تكتب قصصًا بوليسية مثلاً ؟ »

- « ربما لو تمسكت بالتصنيف لقلت إننى أكتب قصص رعب .. »

بدا لى هذا مضحكًا ..

أى شىء يمكن أن يكتبه ؟.. وكيف يستطيع أن يرعبنى بعد كل ما رأيت فى حياتى ؟.. لو أنصف هذا الرجل لجلس عند قدمى يدون ذكرياتى .. أنا أضمن له أن يملأ عدة مجلدات ..

جاءت (ماجى) وقد بدت لى بكامل أناقتها وفتنتها .. الشىء الوحيد الحقيقى فى هذا المكان .. قالت وهى تستند إلى البيانو:

- « أنتما متعارفان الآن ؟.. دعنى أؤكد لك يا (جوناثان) أنك تقابل كنزًا يمشى على قدمين .. الرجل الذى قابل كل أشباح وشياطين الأرض .. الأغرب أنه لا يحب هذا الدور على الإطلاق وليس فخورًا به ، ويتمنى لو كان مجرد شخص عادى .. »

نظر لى باهتمام يزن إن كانت تمزح أم تتكلم حقًّا .. ثم قال :

- « هذا .. مثير للشغف .. »

بالنسبة لهؤلاء القوم يعتبر تعبير (رجل عادى) نوعًا من السباب البذىء .. هم أعلى وأسمى من الرجل العادى طبعًا ..

قالت فى حماس :

- « لو أنك جلست معه عدة مرات لسمعت عجبًا .. لكن عليك أن تصبر لأن اللآلئ لا تطفو على سطح الماء وتدخل جيبك .. لابد من معاناة .. لابد من غطس .. لابد من خطر الغرق .. عندها تحصل عليها .. »

قلت وقد سرتنى هذه المجاملة :

- « الأهم أن تفتح القواقع فمها أولاً .. بعض القواقع لا تفعل .. »

لم يبد مهتمًا جدًّا بفيض المجاملات بينى و(ماجى) ، وقدرت أنه يعرف شيئًا عن علاقتنا الروحية الحميمة .. عيناه قالتا إنه فضولى لمعرفة السبب الذى يجعل فاتنة كهذه تعجب بشىء عجيب مثلى .. لقد اعتدت هذا ، واعتدت أن أقنع نفسى بأن أفضل صفة فىّ .. الصفة التى تجعلنى من أروع الرجال على وجه الأرض هى أن (ماجى) تحبنى !.. بهذه الصفة أنا أستحق حبها فعلاً ... هذا نوع من العبارات الملتفة التى تشبه (شهير بأنه شهير) لكنه منطق لا بأس به لو فكرت فيه ..

فى هذا الوقت كانت تلك الأديبة (مادلين كارلستون) قد جنت من جديد .. راحت تصيح وتقول كلامًا غريبا لم أفهم معظمه ، وقد حاول زوجها أن يهدئ من روعها ..

رأيته يهمس فى أذنها ، لكنها ـ كدأب السكارى ـ لم تهتم بالهمس ، وصاحت بصوت عال :

ـ « نعم .. نعم .. من أجلها تفعل هذا كله .. لكن بمالى أنا .. بمالى .. جميل أن تدفع المرأة نفقات منافستها !! »

ـ « (مادلين) .. بالله عليك .. كفى عن الشرب .. »

ـ « حقًا ؟.. كل ما فى الأمر أن الشرب يحرر لسانى .. لكنى بكامل قواى العقلية .. صدقنى .. »

طبعًا أرى هذا المشهد فى السينما كثيرًا وأعرف أنه ينتهى بصفعة تهدئ من روعها ، لكن هؤلاء ليسوا أناسًا عاديين .. لهذا اكتفى الزوج بأن شكر الموجودين وجذب زوجته جذبًا من ذراعها خارجين ...

لما ابتعدا وسمعنا صوت محرك سيارتهما ، دنت منى (ماجى) وبلهجة الشاعر بالذنب همست :

ـ « لا عليك .. إنها تشعر بـ ..... »

قلت مقاطعًا :

ـ « نعم .. نعم .. تشعر بالغيرة ، وبأن زوجها يعيش معها لأنها ثرية لا أكثر لكنه يحب امرأة أخرى .. أنا لست حمارًا يا عزيزتى .. لا أهتم ذرة بمشاكل هؤلاء القوم ، لكن أكدى لى فقط أنك لست المرأة الأخرى التى يحبها .. »

ـ « لست هى طبعًا .. فكر فى ذلك قديمًا ثم عدل عنه .. حاليًا أنا أقبح من أن أروق له .. »

ـ « الحمد لله .. »

هنا حرر الموسيقار رقبته من ذلك المنديل الحريرى وتأوه وكف عن العزف وأغمض عينيه قائلاً :

ـ « مسكينة .. إنها تغار .. أعرف شعورها وأفهمه .. مسكينة !.. أوه .. أوه .. »

وراح يئن وهو يغطى وجهه بكلتا يديه ..

هنا دنوت من أذن (ماجى) وهمست :

ـ « أتوسل إليك .. لم أعد أطيق هذا الجو .. أريد أن أشم بعض الهواء النقى .. لو لم ترحلى معى فلسوف أرحل وحدى .. »

ـ « ظننتك ستحب هذا الجو .. هؤلاء القوم أذكى مما يبدو عليهم .. »

ـ « وأنا أغبى مما يبدو على لذا سأرحل .. »

هكذا لم تجد بدًا من أن تشكر صاحبة الدار .. السيدة (محمد عوض) وتحيى الموجودين ثم تلحق بى حيث كان سائق سيارتها ينتظرنا ...

- 3 -

فيما بعد عرفت التالى :

كانت حياة (أنتونى كارلستون) تزداد تعقيدًا بالفعل ..

هو لم يعمل فى حياته ولا يظن أنه سيعمل .. اعتاد حياة الطراوة والرخاوة واعتاد أن يكون ثريًا .. مع الوقت تكون عنده ذوق خاص ، فهو لا يسيغ الطعام الرخيص ولا يسيغ السيارات غير الفاخرة ... لابد من الكافيار والسيمون فيميه والفواجراه على العشاء .. لابد من عطور ثمينة وثياب فاخرة غالية الثمن ..

على قدر علمه هو لم يكن فقيرًا قط .. منذ صباه عرف أن أمامه سبلاً محدودة للحصول على المال : الميراث .. السرقة .. الزواج من امرأة ثرية .. لا تضع العمل ضمن القائمة من فضلك .. على كل حال لا يوجد عمل فى الكون يمكن أن يسدد فواتيره ..

هكذا ورث مبلغًا ممتازًا من المال بعد وفاة عمه ، لكن طريقته فى الحياة لا تسمح لأى مبلغ ولو كان مال قارون أن يبقى إلا بضعة أعوام ..

فى النهاية أخبره المحاسب أن رصيده فى المصرف يقترب من الصفر . هنا اضطر لأن يحاسب نفسه من جديد .. لا يوجد أى مانع من أن يصير لصًا ، لكنه لم يتعلم ذلك ، وهو يعرف أنها

ليست لعبة للهواة .. الرجل الذى يقتحم مصرفًا وهو يضع على رأسه جوربًا نسائيًا ويهدد الموجودين ثم يملأ حقيبة بالمال ، ليس شخصًا عاديًا .. لابد أن لديه صفات لا يملك هو أيًا منها ..

كان قد قرأ الكثير جدًا من الروايات البوليسية .. هذه هى ثقافته الوحيدة .

تأمل وجهه فى المرآة ..

لاحظ فى رضا أنه أنيق جدًا .. وسيم جدًا .. له سمت ممثلى السينما .. وجهه يوحى بالأمانة والحب ... ثم تسقط خصلة من الشعر الأسود على جبينه فيصير فاتن نساء Womanizer ..

أنت Womanizer .. طريقتك فى الرقص .. فى الإمساك بيد الفتاة .. فى الانحناء لتقبيلها .. فى ضحكتك .. فى كل شىء .. هذا رصيدك وسلاحك وعليك أن تستغله ..

يجب أن يفتن امرأة ثرية .. ربما تكون ساحرة عجوزًا شمطاء ، لكن الجيجولو مهنة كأية مهنة أخرى .. لابد من التعب والمعاناة ، ولو كان مصريًا لما وجد أفضل من عبارة (ريا) الشهيرة : « محدش بياكلها بالساهل .. »

راح يحضر كل الحفلات ويتواجد فى كل المسارح والمحافل بحثًا عن ضالته ..

هنا ظهرت (ماجى) .. كان يعرف أنها عانس ثرية جدًا ، لكنه اعترف لنفسه بأنها فاتنة وأن أى رجل يتمنى الفوز بها حتى لو لم تكن ثرية ..

بدأ يحوم حولها ويظهر لطفه وفتنته لكنها كانت طبيعية جدًا تلقائية جدًا .. وعلى استعداد تام لأن تنكمش متى شعرت بأنه تجاوز الحدود .. لم تكن تريد شيئًا وكانت سعيدة راضية بحياتها .. هو يعرف هذا الطراز من النساء ويعرف أن قلوبهن صناديق مغلقة ، لكن يستحيل العثور على مفاتيحها .. هذه المفاتيح تكون غالبًا فى مكان ما مع وغد محظوظ ما ...

هكذا تخلى عن فكرة (ماجى) .. وقد سره هذا لأنه فعلاً احترمها وشعر بأن استغلالها عمل غير أخلاقى حتى لو سمحت بذلك ..

كانت لـ (ماجى) صديقة فيها مسحة من الجمال ..

سأل عنها فقيل له إن اسمها:

ـ « (مادلين جيرهارد) .. أديبة وكاتبة مسرحية .. كانت زوجة لـ (أرشيبالد جيرهارد) وقد ترك لها ثروة فاحشة .. ثم توفى بالسرطان ، وهى منذ ذلك اليوم تعيش وحدها مع شخوص مسرحياتها وصراعاتها النفسية المعقدة .. إنها مجنونة قليلاً ولعل السبب هو احتياجها للحنان .. »

كان هذا عندما اهتزت يدها فسكبت محتوى الكأس على السجادة ، وانفجرت صاحبة البيت العجوز فى الاحتجاج . تذكر هو على الفور أنه قرأ هذا المشهد بالحرف فى قصة أخرى ، وعلى الفور أيضًا نفذ ما حدث بالقصة .. أفرغ كأسه على السجادة هو الآخر ثم قال لصاحبة البيت :

ـ « أرجو أن ترسلى سجادتك الرخيصة للتنظيف على حسابى .. »

وألقى بطاقته على الأريكة ، ثم صحب الأديبة المنبهرة متلاحقة الأنفاس للخارج ..

بطل القصة كسب للأبد حب الوريثة بهذه الحركة ، ولم يختلف الوضع هنا .. هذه من مزايا القراءة القليلة جدًا على كل حال ..

تعددت لقاءاته بالأديبة الثرية ، واستعمل كل أسلحته حتى وافقت أخيرًا على الزواج ..

وفى النهاية ... قد حقق ما يريد بالضبط .. إن كل هذه الثروة تحت تصرفه .. كل هذا المال .. هذا القصر .. هذه الإقطاعية .. إن زوجها السابق لم يكن يمزح أو يضيع وقته ..

يعرف الغربيون تعبير **Trophy wife** أو الزوجة الغنيمة .. الرجل الثرى المسن القبيح يتزوج شابة فاتنة كمظهر للوجاهة الاجتماعية .. شىء مثل السيارة الفاخرة أو البذلة الأنيقة .. الواقع أن الوضع

هنا كان معكوسًا .. لقد اشترته الأديبة بمالها ليكسبها وجاهة اجتماعية حتى صار Trophy husband فعلاً ، لكنه لم يكن يريد غير هذا على كل حال ..

الآن حان وقت المرح ..

بدأ يعبث هنا وهناك ، وكانت (باتريشيا) راقصة الباليه الحسناء ذات الأصل الروسى هى الهدف المختار .. كانت راقصة باليه .. أى إنها راقية وتمت للعالم الذى لا يطيق الابتعاد عنه ..

فى الخارج (باتريشيا) الحسناء الرقيقة ، وفى البيت زوجته الأديبة الكئيبة العصابية ، التى لا تكف عن التدخين وشرب الخمر .. عقلها مفعم بالأشباح .. وأحيانًا تكلم شخصيات قصصها بلا توقف .. لكنها كذلك تحبه جدًا .. تشعر نحوه بحاسة امتلاك رهيبة ...

اعتادت النساء أن يهيم الرجال بهن وألا يطقن أكثرهم .. هذا شعور نسائى معتاد .. لكن الرجل يشعر بذعر حقيقى عندما يقع فى حبائل امرأة مجنونة قليلاً تهيم به .. إنها تصير خطرًا حقيقيًا يلاحقه فى كل مكان .. هناك فيلم أمريكى عرض هذه الفكرة ببراعة هو (اعزف ميستى من أجلى) ، وهو الذى قدمته السينما المصرية بشكل أسوأ طبعًا فى فيلم (المجنونة) ..

كان عليه أن يكون لطيفًا مع زوجته .. يجاملها .. يكذب عليها ..

لكنها تعرف كل شىء .. لم يكن حذرًا بما يكفى ..

لم يدرك كم أن الأمور صارت خطيرة إلا عندما ذهب إلى المصرف ليجد أنها سحبت مالها من الحساب المشترك الذى كان يسحب منه بلا توقف ..

معنى هذا أن عليه أن يلعب معها لعبة الصبى المراهق الذى يبذل جهدًا عنيفًا ليقنع أمه بإعطائه مصروفًا .. ثم لو أعطته يطالب بالزيادة ..

ـ « لماذا فعلت ذلك يا (مادلين) ؟ »

قالت فى تنمر:

ـ « لأننى لن أنفق مالى على حبيبتك .. لم آت هذا العالم من أجل الترفيه عنكما لو كنت قد لاحظت هذا .. »

رفع يديه فى غضب مجنون ولوح بهما قائلاً :

ـ « أنت قد فقدت عقلك تمامًا . هذا الخلط بين عوالم مسرحياتك و ..... »

ثم توقف وقد أحس أن الدور لا يناسبه .. دور مفضوح تمامًا .. كلاهما يعرف أن هذا الكلام غير صحيح فلا داعى للسخف ..

لما توقف قالت :

ـ « سوف ترى .. لن تنفق مليمًا إلا بعلمى ولسوف أعرف كم وأين ذهب وعلى من .. إن (مادلين) الشريرة المنحطة سوف تكشف عن وجهها القبيح.."

بعد هذا جاء ذلك المشهد .. الفضيحة المجانية فى الحفل الذى أقامته صديقتهم والذى كانت (ماجى) فيه ..وتكرر هذا كثيرًا ..

عندها عرف أن الخيارات أمامه صارت محدودة جدًا ..

ـ 4 ـ

لم يكن الطلاق واردًا بالطبع ..

ليس أمامه حل سوى قتلها ، وكما قلت من قبل كان يملك روح لص أو سفاح .. لقد اعتاد الثراء طيلة حياته لهذا بدا له ما تقوله هذه المرأة ظلمًا حقيقيًا .. لا حق لها على الإطلاق فى حرمانه من مالها .. لا حق لها فى أن تمنعه من تبديد ثروتها على امرأة أخرى ..

إنها قاسية .. قاسية معدومة الإنسانية ، ولهذا يجب أن تموت .. لقد مات (هتلر) لأنه قاس معدوم الإنسانية فلماذا لا تذوق الكأس ذاتها ؟

المشكلة هى أن أول سؤال سيدور بذهن المفتش (مكديمروت) أو ـ أيًا كان اسمه ـ مفتش سكوتلانديارد الأريب ذى المعطف الخاكى هو : (من المستفيد ؟) . لا أحد سواه .. سيدى .. لقد وجدنا من الأدلة ما يسمح لنا بأن نتهمك بقتل السيدة (كارلستون) ..

لا .. لا يمكن أن يحدث ذلك .. هو لن يطيق السجن لساعة واحدة ..

كان يعرف من القصص البوليسية طعام البريطانيين أن هناك الموت الذى يبدو حادثًا .. والموت الذى يبدو انتحارًا .. والموت الذى يبدو شيخوخة .. والموت الذى يبدو قتلاً ..

طبعًا الموت الذى يبدو شيخوخة هو للمزاح أقرب .. إنها فى منتصف العمر وصحتها ممتازة .. الموت الذى يبدو قتلاً ممتاز ، لكنه يعنى أن تستأجر قاتلاً محترفًا وتقنعه بأن يترك آثارًا توحى بالسرقة مع العنف .. هذا القاتل نقطة ضعفك لأن هؤلاء الحمقى يقعون فى قبضة الشرطة دائمًا ويتكلمون .. لو لم يقعوا فى قبضة الشرطة فهم يحاولون ابتزازك ... إذن هو الموت الذى يبدو حادثًا ... هذه مشكلة أخرى لأنه ليس عبقريًا ولا يستطيع تدبير حوادث محكمة .. الموت الذى يبدو انتحارًا ممتاز ويمكن أن ينطلى بسهولة على الشرطة مع شخصية مريضة نفسيًا كهذه ، لكن المشكلة هى أن تقع فى خطأ ما .. خطأ وينتهى بك الأمر إلى السجن ..

قلب الاحتمالات كلها ، وفى النهاية قرر أن كل الطرق تتساوى لسبب واحد .. لن يجد أحد الجثة . القاعدة اللاتينية تقول : (هابياس كوربوس Habius corpus) أى (أظهروا الجثة) .. لا توجد جثة إذن لا قضية .. بعد فترة سوف يحصل على حكم من المحكمة يسمح له بالميراث وينتهى الأمر ..

إذن عليه أن يتخلص من الجثة بطريقة بارعة .. وفى الوقت نفسه يترك انطباعًا عامًا أن السيدة انتحرت .. ربما ألقت بنفسها من فوق المرتفع أو فى النهر حيث يسهل ألا يجد أحد جثتها ..

* * *

فى البداية رتب أموره سرًا .. احتاج لشهر كى يفرغ الكمية كلها دون أن يلاحظ أحد ، ثم تشاجر مع الخدم جميعًا ..

كانت هناك فواتير . الكثير منها ومن السهل على من يبحث عن خطأ فى كومة فواتير أن يجده .. دعك من أنهم لم يكونوا مثالاً للأمانة والنقاء ..

تعالى صوته وهو يتهمهم بأنهم لصوص .. ثلاثة منهم كانوا فى إجازة ، وقد بقى ثلاثة فتشاجر معهم .. وأعلن أنه يريد طردهم ..

بالطبع كان الخدم يعرفون مركز القوة الحقيقى هنا ، لذا نظروا له فى استخفاف ونظروا نحو السيدة التى تملك الكلمة النهائية ..

قال لها مهددًا :

ـ « لو كنت تنوين أن تسفهى اتهاماتى فإننى سألحق بهم .. »

كانت تشعر بصداع فظيع ، لذا وضعت يدها على جبهتها وأغمضت عينها قليلاً ، ثم قالت :

ـ « تونى .. هل يمكن إرجاء هذا الموضوع ؟.. أنا لا أريد أن أفصل أحدًا .. »

ـ « وأنا أصر على ذلك .. »

كان الخدم يقفون فى غرفة الطعام الواسعة الفاخرة وقد بدا عليهم الاستمتاع بهذه المحادثة ، فلو كانوا مصريين لمارسوا العادة الشعبية فى وضع (طوبة على طوبة) ..

نظر لهم (أنتونى) فى كراهية وقال:

ـ « إذن أنا أصر على أن يأخذوا إجازة إلى أن نتفق بشأنهم .. »

ـ « لك هذا .. »

قالتها دون أن تفتح عينيها أو تبعد يدها عن جبهتها ..

هنا وجد فرصته فسألها بلهجة واضحة :

ـ « أنت لست على ما يرام .. هل عاودك الاكتئاب ؟.. هل تشعرين بأنك لست على ما يرام ؟ »

قالت بصوت متعب :

ـ « أنا دائمًا لست علىَ ما يِرام .. »

كان يسألها وهو يعرف أن هذه الكلمات ستقال بالحرف للمفتش مكديمروت أو ـ أيًا كان اسمه ـ السيدة كانت مكتئبة وكانت أميل للصمت عندما تركناها ..

أوشك أن يسألها :

ـ « هل أنت راغبة فى الانتحار يا عزيزتى ؟.. هل حالتك تجعلك تختفين عن العالم بلا تفسير وتختفى جثتك كذلك ؟.. هيا .. قولى لهؤلاء الأوغاد ذلك بوضوح .. »

هكذا احتاج الأمر إلى ثلاث ساعات حتى صار القصر خاليًا تمامًا .. فيما بعد سوف يشهدون أنه تربص بهم وتصيد لهم الأخطاء كى يصير المكان خاليًا .. سوف يقولون هذا ولسوف يمتص المفتش مكديمروت أو ـ أيًا كان اسمه ـ السيجار بنهم ويقول وهو ينفث سحابة كثيفة :

ـ « إذن أراد الخلاص منكم .. هم م م .. هم م .. هذا مهم .. مهم .. »

لكنه لن يجد شيئًا .. لن يجد جثة ..

(أنتونى) شخصية هستيرية ولن يجد عسرا فى التمثيل .. سوف يقنع الشرطة بسهولة تامة لأن الممثلين هستيريون بطبعهم أو لأن الهستيريين ممثلون بطبعهم .. سوف يبكى ويبدو مذهولاً .

انتظر فى صبر حتى خلا القصر من الخدم .. حتى ساد الظلام ..

دخن ألف لفافة تبغ .. ومشى فى الردهة ألف مرة .. تأمل وجهه فى المرآة ألف مرة .. لم يتذوق خمرًا لأنه يعرف أنها ستودى بعقله ولسوف يرتكب خطأً شنيعًا ..

ليس هذا وقته .

يسمع صوت ضرباتها على مفاتيح الآلة الكاتبة فى غرفة مكتبها .. يسمع صوت قداحتها وهى تشعل لفافة تبغ أخرى ..

نصف ساعة .. ساعة ... ساعة ..

أخيرًا حمل التمثال الثقيل الموجود فى مدخل الغرفة فى جيب الروب .. تمثال ثقيل جدًا لكنه لا يتجاوز عشرين سنتيمترًا فى الطول . هذا هو البديل البريطانى لـ (يد الهون) فى مصر ..

دخل ليقف خلفها وهى مستمرة فى الكتابة ..

يجب أن يطالع ما تكتبه .. القصص البوليسية علمته أنهم يكتبون اسم القاتل فى اللحظات الأخيرة لهم .. القاتل يزيل كل آثار الجريمة لكنه لا يفطن إلى أن الضحية نسجت اسمه بالتريكو على البول أوفر الذى كانت تحيكه ..

يطل برأسه فيجد أنها تكتب مسرحية سخيفة...

شعرها الأشقر الثائر من الخلف يبدو مشتعلاً بتأثير ضوء الأباجورة القادم من الأمام ، ودخان التبغ يتصاعد عبر خصلاته .. يا للخسارة .. امرأة لا بأس بها لكنها تواجدت فى المكان الخطأ فى الزمن الخطأ مع الشخص الخطأ ..

تلفتت وقد شعرت بأنه يقف خلفها ..

ـ « تونى .. هل من شىء ؟ »

وكانت هذه آخر عبارة قالتها ..

لشد ما تختلف الحياة فى ربع ثانية عما كانت قبلها .. لقد بدأ (تونى) حياة جديدة تمامًا تختلف عن الأعوام الخمسة والثلاثين السابقة .. عن كل ما عاشه وعرفه .. لم يعد مجرد فتى عابث لعوب ..

الآن هو قاتل يرمق ضحيته الراقدة على الأرض ويفكر فى طريقة للخلاص من جثتها ..

لم يعد من الممكن أن تعود الحياة كما كانت ، ولن يعود ما بعد هذه اللحظة كما كان قبلها ..

لكن عليه أن يهدأ .. يهدأ...

لقد رتب كل شىء من قبل ...

قطرات

بقلم (جوناثان دارتمور)(*)

(*) نشرت للمرة الأولى فى مجلة (هوررور فاكتورى) فى مارس .

كان على (مارك دارو) أن يقتل زوجته ..

عرف هذا منذ قررت أن تراقب كل مليم ينفقه من مالها ، وأن تراقب مكالماته ، وأن تفتش أوراقه..

قال لنفسه فى غيظ:

ـ « المرأة الثرية تحاول السيطرة على كل تفاصيل عالمى .. تحسب أنها ما دامت أنفقت على بعض الدولارات فقد صرت ملكًا لها .. لكنها ستدفع الثمن .. »

وكانت تقول له:

ـ « يجب أن تتذكر .. أنا اشتريتك بمالى كما اشتريت جهاز التلفزيون هذا .. لن أسمح أن يخرج جهاز التلفزيون ليشاهده الجيران ليلاً ولا أشاهده أنا .. »

أتذكر (مارك) هذه الكلمات وهو يرمق جثة زوجته الممددة على البساط بعد ما هشم رأسها بذلك التمثال ..

راح يلهث محاولاً التقاط أنفاسه ، وخطر له أن الفارق بين حياة العابث العادى وحياة القاتل واه جدًا .. مجرد شعرة تعبرها فتصير فى المعسكر الآخر .. لكن هذه الحدود لا يمكن عبورها بالعكس ..

لكنه لم يكن يشعر بذعر ولا ندم .. أثار هذا دهشته .. كان راضيًا لا أكثر ولا أقل ..

كان قد تخلص من الخدم ، وتأكد من أن البيت الكبير لا يحوى سواه والزوجة .. الزوجة التى كانت زوجته .. الآن صارت شيئًا ..

شيئًا على البساط يعنى التخلص منه مليونى دولار تقريبًا ويعنى عدم التخلص منه الكرسى الكهربى .. يجب أن يتخلص منها ..

هكذا نزع سترته ..

كان قد فكر مرارًا فى أن يكتب بخط يشبه خطها رسالة انتحار على ورقة ، لكنه قدر أن هذه خطوة ساذجة نوعًا .. خبراء الخطوط يميزون أى شىء .. ولو أرغمها على كتابة خطاب انتحار قبل أن يقتلها لدست فيه كلمة ما أو علامة يفهمها رجال الشرطة ..

لا .. لن يفعل ذلك ..

بدأ يجر جثتها على البساط .. من حسن الحظ أنه لا يوجد دم .. إزالة الدماء مشكلة وعقبة كأداء ، ولا ينجح أبدًا ..

بدأ يجرها على الدرج .. ثقيلة كالكابوس .. ملتصقة بالأرض .. ترتطم بكل درجة كصخرة ..

العرق يغمر جبهته ويبلل صدر قميصه .. لكن ليس الوقت وقت الإرهاق ..

* * *

منذ شهر كان (مارك) يمارس هذا النشاط بلا توقف ..

يشترى زجاجتين من الحمض المركز ويضعهما فى حقيبة السيارة ، ثم يعود للقصر .. يدخل المرآب بسيارته عارفًا أن السائق لن يضايقه .. ثم يفرغ الزجاجتين تلك الحفرة التى بطنها بالخرسانة مع مادة أخرى مدعمة .. حفرة ارتفاعها متران ونصف واتساعها متر ، قام بعملها بمفرده بعد استشارة أحد المهندسين .. لقد ارتحل مع زوجته لقضاء العطلة ، ثم تعلل ببعض الأعمال وتركها حيث هى وعاد إلى البيت الخالى ليصنع هذه الحفرة فى المرآب ويدعمها ..

لقد كانت عملاً فنيًا شديد الإتقان ، خاصة بذلك الغطاء الذى يضعه فوقها ، والذى يبدو من سطحه الخارجى كأنه جزء من معالم الأرضية ..

كان يعرف أنه لن يستطيع شراء كمية من الحمض تملأ هذه الحفرة مرة واحدة ، لأنه بهذا يترك دليلاً فى ذاكرة من رآه يشترى .. لكنه استطاع الاتصال بأحد أمناء المختبرات ودفع له مبلغًا لا بأس به ، وبدأ هذا الرجل يحصل له على زجاجتين فى كل مرة .. يعود بهما للدار ويسكبهما فى الحفرة ..

مع الوقت بدأت الحفرة تمتلئ ، وفى كل مرة كان يغطيها بإحكام حتى لا يجدها أحد ..

كان قد فكر فى أن يدفنها فى المرآب وينتهى الأمر ، لكن المشكلة هى أن الروائح تعلن عن نفسها فى هذا المكان .. لابد أن يشم أحد شيئًا .. أما عن إلقاء الجثة فى الغابة فلعب أطفال .. الجثث فى الغابة وفى النهر تظهر دومًا فى الوقت غير المناسب ..

هذه الحفرة تتيح لك تحويل الجثة إلى محلول شفاف نظيف بلا رائحة سوى رائحة الكبريت .. لا عظام ولا شعر ولا بقع دم ..

كانت شركًا مخيفًا .. وقد رأى ذات مرة فأرًا يركض مذعورًا إذ سمع صوت قدميه .. تمسك بحافة الحفرة وحاول بمخالبه ألا يسقط ، لكنه انزلق لأسفل .. وعلى الفور سمع صرخة مريعة رفيعة ، وتصاعد دخان يحرق العينين من السائل الكريه .. دنا من الحفرة وهو يرتجف فرأى أن الفأر لم يعد هناك ... هناك فقاعة واحدة بدلًا من الكائن الحى ..

هذا شرك مرعب وعليه أن يأخذ الحذر ..

يعرف أساليب العدالة الشعرية هذه .. كلها تدور حول (من حفر حفرة لأخيه وقع فيها) .. لابد أن تنزلق قدمه ليسقط فى الحفرة ..

الآن لديه بئر مليئة بالحمض ولديه جثة .. فماذا يفعل ؟

أحسنت !.. أنت ذكى فعلًا ..

لقد جر جثة الزوجة إلى المرآب وهو يشعر بأنه مراقب .. لكنه كان يعرف جيدًا أن هذه هستيريا لابد أن تحدث .. لا يمكن أن تقتل إنسانًا ولا تشعر بأنك مراقب وأن سرك انكشف وأن هذه نهايتك ..

وضع جثتها على الأرض الخرسانية وأشعل الكشاف ووضعه على الأرض ليرى ما يفعله ..

كشف الغطاء الذى وضعه على الحفرة ..

ظهر له فم الموت المفتوح تفوح منه رائحة ثانى أكسيد الكبريت كأنها صوت أنفاسه ..

نظر لزوجته نظرة أخيرة وابتسم .. رحلة سعيدة يا (مارى) .. لن تتألمى لأنك ميتة فعلًا ، ولو أننى قمت بحرقك فى فرن لما بدا هذا غريبًا بالنسبة للمجتمع ، فلماذا يندهشون من التخلص من الجثة بالحمض ؟

دفعها فى حذر .. هذا هو الوقت المناسب لتنزلق قدمه ويموت معها .. لا شك فى هذا ..

أخيرًا .. دفعة أخيرة وتسقط ، وعليه أن يبتعد لأن الحمض سيتناثر ويحرقه ...

سقطت الجثة فى الحمض ..

هنا حدث أشنع شىء فى حياته ..

لقد صرخت !

صرخت صرخة مروعة اهتزت لها جدران المرآب وحاولت يدها عبثًا التمسك بحافة البئر ، ثم سرعان ما غابت فى السائل .. بركة الجحيم .. وتناثر الحمض فى كل صوب ....

هل قاومت كثيرًا ؟.. لا يعرف لأنه سقط على الحافة وفقد وعيه من الرعب لثوان ....

عندما فتح عينيه كان سطح الحمض مغطى بالفقاقيع الغضبى تعلو وتغيب ، وكانت سحابة كثيفة من ثانى أكسيد الكبريت الخانق تغمر كل شىء ...

اضطر لأن يسد أنفه بالمنديل ، لكن الرائحة كانت تحرق العينين ..

لم تمت !!

لقد فقدت الوعى لا أكثر ، وأفاقت فى اللحظة الأخيرة بعد فوات الأوان .. لهذا لم تنزف من رأسها .. أم هى تظاهرت بفقدان الوعى وراحت تنتظر لتفهم ما يريد عمله ؟.. عندها تكون تصرفت بحماقة فعلاً ..

حاول أن ينهض لكن فخذه كان يرتجف بلا توقف كفخذ ضفدعة (جالفانى) التى سرى فيه التيار الكهربى .. لا يقدر على التماسك من هول الضغط العصبى ..

تذويب الجثث شىء وتذويب الأحياء شىء آخر ..

سوف يذكر هذا المشهد طويلاً جدًا .. ربما لن ينساه أبدًا ..

على كل حال يجب أن يتماسك وأن يحسن تغطية البئر ، فالوقت ليس وقت الوهن . فيما بعد سوف يسد هذه البئر .. سيلقى فيها الجير الحى أو أية مادة قلوية لتهدأ للأبد ..

لكنه الآن بحاجة إلى الفرار من هنا ..

* * *

قال له الخادم :

– « سيدى .. لا أعرف السبب لكن هناك قطرات حمض ثقبت سجادة قاعة المعيشة الثمينة"

رفع رأسه عن الجريدة فى اهتمام ..

كانت أيام قد مرت ، والخدم قد عادوا ، والشرطة أجرت تحقيقاتها .. بالطبع كان هو المتهم الأول ، ويمكن القول إنهم فتشوا كل شىء .. قلبوا القصر رأسًا على عقب وفتشوا المرآب مرارًا .. لكن لا أثر للزوجة المختفية . .

قال الخدم إنها كانت فى حالة نفسية سيئة ، وقال هو إنه دفعها للانتحار على الأرجح .. هو آسف ويعتذر عن هذا ، لكنها الحقيقة .. سوف تجدونها فى مكان ما بقاع البحيرة .. فقط كفوا عن الشك فى ..

هكذا تركه رجال الشرطة بعد ما يئسوا من العثور على الجثة .. وعادت الحياة تنتظم .. بقى أن يحصل على حكم قضائى يسمح له بالتصرف فى أملاكها . بعدها يتزوج (ليليان) وتبدأ الحياة الحقيقية ..

لكن الخادم يكلمه عن قطرات من حمض ..

نهض إلى حيث قال الخادم إنه وجد القطرات .. بالفعل كانت هناك ثقوب منتظمة متباعدة على البساط .. ثقوب لا شك أنها ناجمة عن حرق كيميائى ..

من أين جاءت ؟.. لا يعتقد أنه بلل نفسه بالحمض فى تلك الليلة ، ولو فعل لاحترق ولشعر بذلك .. ثم إنه لم يحمل أية زجاجة فى قاعة المعيشة ..

لا تفسير لهذا سوى أنها رسالة .. هناك من يقول له إنه يعرف السر .. لكن من هو ؟.. هل يلجأ للابتزاز ؟.. ليكن لكن ليفعل ذلك بسرعة ...

بعد يومين قالت له الطاهية إن قطرات من الحمض تساقطت على مدخل قاعة الطعام ، وقد ذوبت نعل حذائها .. وتساءلت فى حيرة :

ـ « من فعل هذا ؟ »

قال لها فى عصبية :

ـ « كنت أتصور أنك الأقدر على إعطائى تفسيرًا .. هذا البيت مسئولية الخدم والمدبرات والطهاة .. ليس على أن أعنى بكل ركن فيه .. »

لكنه بعد هذا وجد ثقوبًا من حرق كيميائى على أريكة غرفة المعيشة ، كما وجدها على فراشه ..

الحق أنه بدأ يتوتر فعلاً ...

عندما نام فى تلك الليلة كان مستعدًا على أن يقسم أنه يشم رائحة الكبريت المهيجة لأغشية الأنف ، لكنه قدر أن هذا تفاعل هستيرى ..

نهض عند الثالثة صباحًا وقد شعر بشىء غريب ..

فتح الأباجورة جوار فراشه وأنصت .. لا يوجد شىء يتحرك ..

ثم خطر له أنه يرى نوعًا غريبًا من الظل تحت باب الغرفة .. دقق النظر أكثر وفرك عينيه .. لا .. ليس هذا ظلاً .. إنه سائل ينساب تحت فتحة الباب .. سائل ينساب ببطء ويكون بركة صغيرة هناك . ما معنى هذا ؟

نهض مسرعًا وجثا على ركبتيه وتشمم السائل .. ثم مد إصبعه يختبره .. هنا صرخ .. جلد إصبعه يحترق .. إنه حمض !.. حمض كبريتيك مركز !

هرع إلى حوض الحمام وغسل الحرق ، ثم تذكر أن هناك بعض بيكربونات الصوديوم فى الصيدلية فصنع محلولاً صغيرًا غسل به إصبعه ...

لقد كان السائل يتجه نحوه عمدًا وبإصرار مريب .. كان السائل يريده هو ! ولو لم يصح فلربما استكمل المهمة ... كيف ؟.. هل كان سيتسلق الفراش ؟.. لم يعد يندهش لشىء ..

عاد إلى غرفة النوم الواسعة ، وللمرة الأولى شعر بأنه ضئيل جدًا وأنها واسعة عليه جدًا .. وحيد جدًا .. واهن جدًا .. هش جدًا يقدر أى شىء على أن يؤذيه ..

هناك رأى المزيد من القطرات على السجادة .. بالطبع تحولت لثقوب اسودت حوافها ..

عرف ما سوف يحدث على الأرجح ..

لقد قرأ الكثير من القصص حتى لم تعد هناك نهايات قادرة على أن تدهشه أو تفزعه ..

شبح زوجته يطارده .. الشبح الذى ذاب فى الحمض ويطلب الراحة .. الشبح الذى يبغى الانتقام ..

سوف تطارده القطرات فى كل مكان ..

سوف تحرقه وهو نائم وعند استيقاظه ..

سوف تحيل حياته جحيمًا ..

والغرض فى النهاية هو أن يجن ، ويتجه للمرآب ليثب فى البئر المليئة بالحمض وينهى آلامه . هذه هى العدالة الشعرية .. النهاية الملائمة جدًا لخيال كاتبة ...

لكنه لن يفعل ذلك ..

وقف على باب جناح النوم وصاح بصوت عال ملوحًا بذراعيه ، حتى بدا كأنه وطواط آدمى فى الروب الذى يضعه على منامته :

ـ « لن تستطيعى أن تقنعينى بذلك !.. أنت تضيعين وقتك يا (مارى) !! »

تمـــت

- 5 -

قضيت أيامًا رائعة كالعادة مع (ماجى) .. معها يصير كل شىء جديدًا ويخيل لى أحيانًا أن صورتى فى المرآة تروق لى .. كنت أعتقد أن الروح كالسائل تتخذ شكل الوعاء الموضوعة فيه .. يبدو أننى موشك كذلك على الاعتقاد أن الروح تغير شكل الوعاء ليتخذ مظهرها !.. الروح السعيدة الراضية تضفى جمالاً على الملامح لا شك فى هذا ..

إن ماجى تمنحنى ذلك الشعور الذى يصعب أن تشعر به مع شخص آخر إلا من يحبك فعلاً : الشعور بأنك راض عن نفسك فخور بك .. تفكر فى نفسك بشكل إيجابى .. إنها تؤكد لك الشكوك التى كنت تخشى أن تفصح عنها .. ذلك الهاجس الذى يشعرك بأنك رائع .. كنت تخشى أن تعلن عنه حتى لا تتهم بالجنون ، ثم تجد من يوافقك على هذه الهواجس ..

هذه من الأيام النادرة فى حياتى التى لا أصاب فيها بالذبحة الصدرية إلا ثلاث مرات يوميًا .. آلام القرحة صارت تحدث ست مرات فقط .. ضغط دمى انخفض فصار عاليًا جدًا بعد ما كان فلكيًا يوشك على تحطيم جهاز قياس الضغط ..

اعتدت فى كل هذه اللحظات المبهجة فى حياتى أن تحدث كارثة ما .. هذا أمر حتمى .. وعرفت أننى غالبًا على باب قصة من تلك القصص التى أعرفها وأشم رائحتها من بعيد ..

كنا نخرج أحيانًا للنزهة فى المرتفعات أو الصيد فى بركة صغيرة قريبة أو فى بحيرة (لوخ نس) نفسها .. فى كل لحظة عندها حكاية جديدة أو قصة مبهرة أو ذكرى تقشعر لها ..

طبعًا يذكر القارئ المخضرم قصتى مع وحش (لوخ نس) وذلك الصياد المجنون الذى حاول أن يظفر به .. يا لها من ذكريات !

لو كنت تذكر الجغرافيا ، فنحن فى (انفرنسشاير Inverness) ومعنى الاسم بالضبط (فم بحيرة نس) .. أى أنها تتلقى فم البحيرة . على فكرة بعضهم يتحدث الأسكتلندية وهى لغة لا علاقة لها بالإنجليزية إطلاقًا .. حتى الأسماء تختلف .. عندما تقرر ماجى أن تتكلم بهذه اللغة العجيبة لا أفهم حرفًا ...

مرتفعات جرامبيان Grampian من أهم معالم المنطقة .. أما البحيرة أو نهر نس فهى جزء من عيب جيولوجى اسمه (أخدود جلين) .. هناك قلعة قديمة تصلح لتصوير فيلم من أفلام القرون الوسطى ، وهناك كنيسة عتيقة جدًا هى الكنيسة العليا القديمة .

هذا بلد يحمل مغامرة فى كل ركن ، وفى كل قلعة فيه ...

جو موح للخيال فعلاً .. يسهل أن تتخيل أية طفولة يقضيها الأطفال هنا ...

كل هذا كان جميلاً حتى تلقيت هذه الزيارة من (أنتونى كارلستون)..

* * *

كما تعرف ، كنت أقيم فى قصر (ماجى) .. القصر الذى تركه لها أبوها ، وهو كبير جدًا إلى درجة أنه يمكنك القول إننا كنا نقيم فى ذات المدينة وليس ذات البيت ...

كنت جالسًا فى غرفتى أكتب بعض الخطابات عندما جاء رئيس الخدم الأمين الوقور جدًا يدق الباب .. يتكلم بطريقته الإنجليزية الراقية بطريقة غريبة كأنه أهين .. قال لى إن المستر (كارلستون) يرغب فى لقائى ..

(كارلستون) ؟.. من هذا ؟

آه .. ذلك الزوج الوسيم الذى قابلته فى حفل العشاء .. زوج الأديبة العصابية إياها الذى بدا لى صبورًا يضغط على أعصابه طيلة الوقت .. ماذا يريد منى ؟ ..

ـ « هل يفهم حقيقة أن صاحبة القصر هى الآنسة (ماكيلوب) وليس أنا ؟ »

رفع حاجبيه لأعلى مما أعطانى الانطباع بأنه يقهقه .. رفع الحاجبين عند هذا الرجل هو نوع من القهقهة .. وقال:

ـ « إنه يعرف هذه الحقيقة يا سيدى ، لو سمحت لى بأن أقول هذا .. »

دسست يدى فى جيبى الروب ، ورحت أفكر ..

ـ « هل أخبرت المس (ماكيلوب) ؟ »

ـ « أخبرتها يا سيدى ، ولو كان لى أن أقول ذلك ، فإن السيد يرغب فى مقابلة سيدى على انفراد ، وقد سمحت له الآنسة (ماكيلوب) بهذه الرغبة الصغيرة .. سوف تبقى فى غرفتها "

هذا غريب .. الرجل لا يريد مقابلة (ماجى)..

هل توجد أية مواضيع مشتركة بيننا أو هل يمكن أن توجد ؟.. مستحيل ..

ماذا يريده منى ؟.. بالتأكيد لا يتعلق الأمر بسؤالى عن بعض أقراص (المترنيدازول) لعلاج الإسهال ..

تأهبت للخروج من الغرفة ودسست قدمى فى خفى ، لولا أن نظر لى (جيرهارد) نظرة طويلة ، ثم نظر للأرض وقال فى خجل مصطنع :

ـ « لو كان لى أن ألفت نظر سيدى إلى أن منظره .. احم .. »

تبًا لك !.. لقد كنت مهذبًا فلم أذهب للقائه بالمنامة ، وارتديت الروب .. الآن سيكون على أن أبدل ثيابى لأن هذا لا يليق بى ولا بالأخ (كارلستون) .. هذا الجو البريطانى يثير أعصابى فعلاً ، خاصة عبارة (سيكون علينا تبديل ثيابنا للعشاء) .. وفى إحدى روايات سومرست موم يبلغ احتقار الرجل لخصمه ذروته لأنه يتناول العشاء حافى القدمين وهو يطالع رواية بوليسية !

ـ « إذن أتركنى حتى أبدل ثيابى .. »

بعد دقائق كنت فى قاعة الجلوس حيث كان هذا الرجل (كارلستون) واقفًا يتأمل لوحة جدارية عملاقة تمثل جيشًا ما يمزق جيشًا آخر بالرماح .. شعر بقدومى فاستدار ، وهز رأسه فى وقار :

ـ « دِ . إسماعيل .. »

كان قد تغير كثيرًا عما رأيته من قبل .. إنه مرهق .. وجهه ناحل ضامر ، وهالات سوداء تحت عينيه .. لكنه يحتفظ بأناقته ..

كعادة هؤلاء القوم كان قد صب لنفسه كأسًا من بار صغير وجده فى ركن القاعة .. لهذا كان يكلمنى وهو يحمل الكأس ويده اليسرى فى جيبه..

ثم سقطت خصلة شعر على جبينه فأخرج اليد اليسرى ليرفع تلك الخصلة ..

هنا رأيت أنها محترقة .. محترقة تمامًا ...

- 6 -

قال لى وهو يشعل سيجارًا فاخر الشكل يذكرك فعلاً بإصبع (الكفتة) :

- « منذ عرفت (ماجى) وهى تتكلم عنك .. تقول إنك بارع حقًا .. وقد خطر لى إنك قد تقبل بيع خبراتك هذه .. »

قلت وأنا أجلس على أريكة مريحة هناك:

- « سيدى .. بارع فى أى شىء بالضبط ؟.. بارع فى أمراض الدم ؟.. بارع فى الحب ؟.. بارع فى السعال ؟.. أرجو أن توضح .. »

- « أنت تعرف ما أريد .. أنت بارع فى مواضيع ما وراء الطبيعة .. وما أطلبه هو خبراتك هذه .. أنا أواجه مشكلة حقيقية .. لكن دعنا نتكلم بوضوح .. لا أحد يسمعنا ولا أحد يعرف ما قيل بيننا ، فلو تسرب حرف مما أقول خارج هذه الغرفة أو حاولت اتخاذ أى إجراء ضدى فأنا سأقاضيك وأبرهن لك على أن لدى محامين ممتازين فعلاً .. »

كل هذا يثير الفضول .. يثيره بقوة .. بدأت أهتم وأنا أعرف يقينًا أننى مقبل على المصيدة المعتادة .. قدماى تنزلقان بلا شك ..

سألته وأنا أتظاهر بالاسترخاء :

- « ماذا تريد قوله بالضبط ؟ »

قال فى ثبات وهو ينظر فى عينى :

- « بالنسبة للجميع أنا ذلك الزوج البائس الذى اختفت زوجته .. أنا ذلك الزوج الشرير الذى أرهق زوجته باستهتاره لدرجة أنها انتحرت على الأرجح .. لكن لا توجد عقوبة على المستهترين كما تعلم .. »

طبعًا لم أكن أعرف شيئًا من هذا ..لا شك أن (ماجى) تعرفه ، لكن الرجل مجرد وجه عابر مر بى وقد نسيته فعلاً ... لم تكن لتخبرنى بأى شىء عنه ..

عاد يقول وهو يدور الكأس بين راحتى يديه :

- « سأقدم لك اعترافًا صغيرًا .. أنا قتلت زوجتى ! »

وثبت واقفًا ..

لم يكن يمزح .. أنا بلغت من العمر درجة تسمح لى بتبين الحقيقة على الفور ، وهنا استرجعت كل ما قالته ماجى عن الرجل .. عن الزوجة الثرية .. قصة تقليدية جدًا ..

يبدو أن ملامح وجهى كانت مرعبة ، لأنه قال وهو يضحك ضحكة مكتومة مرهقة :

- « بالله عليك اجلس .. أنا أعرف أنك لن تستطيع عمل شىء ، ولا شهود على إننى قلت هذا .. لو أبلغت الشرطة للاحقتك بالقضايا وطلب رد اعتبار ، ولسوف تمضى بقية حياتك فى السجن أو مفلسًا ، لهذا أرجو أن تدعنى أكمل كلامى .. »

جلست متوترًا كما لك أن تتصور ، لكن الرجل كان هادئًا وأعتقد أنه أجرى لنفسه عدة بروفات على هذا الدور قبل أن يأتى ليقابلنى .. كان دقيقًا محكمًا أكثر من اللازم ..

قلت له بصوت مرتعش قليلاً :

- « إن كان كذلك فأنا أهنئك .. والآن ما دورى فى هذا ؟.. من قال إننى أمارس عمل قس الاعتراف فى أوقات فراغى ؟ »

- « لأنك لم تسمع باقى القصة .. سوف أحكى لك"

* * *

هكذا حكى لى كيف تخلص من زوجته .. كيف أعد بئرًا من الحمض فى قبو القصر ، وكيف تخلص من الخدم وجر جثتها ليسقطها فى تلك البئر ...

لقد ذابت تمامًا ، وحرص بعد فترة على أن يردم هذه البئر تمامًا ، بينما فتش رجال الشرطة كل شىء .. نزحوا البركة القريبة .. قرعوا كل جدار ليتأكدوا من أنه ليس مزدوجًا .. سكبوا ماء على الأرضيات .. استعملوا الكلاب ..

لم يجدوا الجثة طبعًا .. وهو كان يقف يراقب ما يدور ويقول فى تهذيب :

- « أنتم تقومون بعملكم .. أفهم هذا .. أفهم أن من واجبكم أن تشكوا فىّ وأن تحيلوا حياتى جحيمًا .. صدقونى أنا أفهم هذا .. فقط أرجو ألا تتسلوا أكثر مما يقتضيه الأمر .. »

وانتهى البحث طبعًا .. وصار القصر له ..

هنا مد يده فى جيب بذلته وأخرج كتابًا صقيلاً سميك الغلاف مما يطلق عليه **Hardcover** ولوح به أمام عينى وقال :

- « هذا الكتاب صدر منذ أسبوع .. مجموعة قصص لكاتب تعرفه اسمه (جوناثان دارتمور)..إنه شهير نوعًا فى بلادنا وأعتقد أنه جيد فعلاً .. هذه القصص جمعها من مجلات متفرقة عديدة يكتب فيها .. »

تناولت الكتاب فوجدت على غلافه صورة لفتاة ترتدى ثيابًا خفيفة وتمشى فى غابة موحشة وتصرخ .. عنوان المجموعة يقول (ليلة أن عاد الموتى) .. عنوان تقليدى جدًا ...

كانت صفحات الكتاب نحو خمسمائة .. واضح فعلاً أنها قصص رعب ..

(جوناثان دارتمور) .. متى عرفت هذا الاسم ؟.. آه .. الأديب أصلع الرأس طويل ما تبقى من شعر الذى قابلته فى ذلك الحفل .. كاتب الرعب إياه ..

قال (أنتونى) وهو يصلح من شأن سترته التى تبعثرت وهو يخرج الكتاب :

ـ « هناك قصة اسمها (قطرات) تصف جريمة قتلى لزوجتى بالتفصيل ! »

نظرت له فى دهشة وقلت :

ـ « قلت إننى الوحيد الذى اعترفت له بهذه الجريمة .. »

ـ « هو كذلك .. لم يرنى أحد وأنا أرتكب جريمتى .. لا شهود .. وبرغم هذا هو يصف المشهد بدقة مروعة .. كل شىء .. طريقة ملء البئر .. قصة الفأر الذى سقط .. ثم تلك الصحوة الأخيرة ! »

ـ « صحوة أخيرة ؟ »

قال وهو يتحاشى نظراتى :

ـ « أخشى أنها لم تكن ميتة كما حسبت ! »

ـ « أنت وغد !! »

قال فى برود :

ـ « ربما .. لكن هذا لا يعطينى تفسيرًا أفضل .. (دارتمور) لا يعرف أى شىء عن الجريمة .. لا يعرف أن هناك جريمة ، وبرغم هذا يضعها فى هذا الكتاب الذى صدر هذا الأسبوع .. هل هو يبعث لى برسالة ؟.. هل يريد ابتزازى ؟.. ربما .. لكن كيف عرف ؟ »

ثم أضاف وهو يحك شعره :

ـ « هناك قصة قرأتها عن قاتل أجير حريص على السرية ، طارده مبتز يعرف أسماء ضحاياه وكيف قتلهم .. فى النهاية أقنعه هذا المبتز أن عنده آلة زمن ، وأنه يستطيع شراءها لو أراد .. بآلة الزمن هذه راقب القاتل ورأى خلسة كل جريمة قام بها .. »

ـ « وهل كانت آلة زمن فعلاً ؟ »

ـ « كانت عملية نصب كبرى .. بعد ما اشترى القاتل آلة الزمن هذه بكل ماله ، عرف أن المبتز النصاب حصل على كل هذه المعلومات عن طريق زوجة القاتل .. إنه محظوظ لأنه عرف .. أما أنا فلا أعرف فعلاً ... هل تعتقد أن آلة الزمن واردة ؟ »

نعم ممكنة ، وقد قابلت رجلاً من المستقبل عاد بها لزمننا وعرف كل شىء ، ثم راح يلعب دور العراف ، لكن ذكر هذه القصة الآن يزيد الأمور تعقيدًا ..

أضاف (أنتونى كارلستون) وهو يشـعل السيجار الغليظ مـرة أخرى :

ـ « مفف .. هل تفهم ؟.. إنه يحكى كل شـىء بدقـة من رأى وسمع ، ثم هو يعرف موضوع هذا الحمض الذى يلاحقنى .. »

ورفع يده المحترقة أمامى ... عندها سألته فى عدم فهم:

ـ « حمض يلاحقك ؟.. لا أفهم !! »

الجـــزء الثـانى

كاتب يعرف أكثر

- 1 -

هكذا قضيت الليل أطالع مجموعة القصص هذه وأنا مندس فى الفراش المريح على ضوء الأباجورة جوار الفراش ..

اتصلت بى (ماجى) عند منتصف الليل تسأل عن سبب اختفائى .. نعم .. فى هذا القصر نحن نتصل ببعض لأن المشى نحو جناحها يحتاج إلى عشر دقائق على الأقل .. قلت لها إننى أطالع بعض القصص المخيفة كتبها ذلك الأخ (جوناثان دارتمور) ..

قالت ضاحكة :

- « يبدو أنهم أحبوك فعلاً .. (جوناثان) صديقى أنا وبرغم هذا أنت أول من تلقى نسخة من مجموعته الجديدة .. (أنتونى) زميل قديم لكنه جاء يطلب الكلام معك على انفراد .. لكن لو سمحت لى بالنصيحة ، فلا تثق بهذا الرجل ..إنه وغد ظريف لا أكثر .. »

- « لا أنوى الوقوع فى غرامه على كل حال .. »

- « هذا يسرنى .. على فكرة زوجته مختفية منذ فترة لا بأس بها .. هل تذكر تلك المرأة العصابية السكيرة ؟.. يقال إنها انتحرت على الأرجح .. لكننى لا أستبعد أن يكون قتلها .. كل شىء ممكن مع (أنتونى) .. »

هل أخبرها ؟.. لا داعى .. ليس لأننى أخاف تهديد الرجل لكن لأننى لا أعرف شيئًا على الإطلاق .. لا أعرف ما يجب أن أصدقه .. لنفس السبب لم أبلغ الشرطة ..

قلت لماجى عبر الهاتف :

- « هل (جوناثان) هذا مهم لديكم ؟.. »

- « لم أقرأ له كثيرًا .. هو كاتب رعب حظى بقدر من الشهرة خلال عام أو عامين .. هناك من يحبونه جدًا لكنى لست مهتمة بهذا النوع من الأدب ، على الأقل حاليًا .. وأنت ؟.. هل راق لك ما قرأته ؟ »

- « بعض القصص جيد وبعضها ردىء جدًا .. »

ساد الصمت بعض الوقت .. ليس للبحث عن كلمات ، ولكن لأنه أبلغ من الكلمات أحيانًا .. ثم تمنيت لها ليلة طيبة .. ووضعت السماعة ..

من جديد رحت أقلب الصفحات ..

بطبيعة الحال كانت أول قصة طالعتها هى (قطرات) .. وبالفعل كان التطابق شبه تام مع ما عرفته من (أنتونى) .. فقط تدور الأحداث فى الولايات المتحدة ، وصار اسم البطل هو (مارك دارو) والزوجة (مارى) والعملة هى الدولار ..

موضوع الحمض الذي يطارد (أنتونى) كأن له حياة خاصة ، ويحرقه كلما أتيحت له الفرصة .. هذه النقطة حكاها لى (أنتونى) وكان رأيى ورأيه أنها هلاوس .. هذا موضوع محير فعلاً ..

بحثت عن مفكرتى الصغيرة التى أضعها فى الدرج ، وبدأت أدون أفكارى كالعادة :

ـ الاحتمال الأول : (أنتونى) كان ثرثارًا وتكلم مع شخص سواى .. هذا وارد جدًا .. لقد رأيت كيف يشرب هؤلاء الغربيون الخمر وكيف يتحرر لسانهم تمامًا من أية قيود .. إنهم يتكلمون كثيرًا جدًا ومن الوارد أن يكون هناك من عرف القصة كلها من فم الرجل ، وقرر أن يفيد منها ..

ـ الاحتمال الثاني : (جوناثان) كتب القصة وهى أوحت بالجريمة لـ (أنتونى) .. ربما لم يكن (أنتونى) دقيقًا فى التواريخ ، وربما كتبت القصة فعلاً قبل ارتكاب الجريمة ، ولعل القاتل قرأها ونسى ذلك لكنها ظلت فى عقله الباطن .. هناك أمثلة كثيرة عن جرائم تمت بالضبط بالطريقة التى حدثت فى القصص ، وقد حدثت فى مصر فى السبعينات جريمة خطف قام فيها مراهقان بخطف فتاة لا لغرض سوى أن يكمما فمها بالشريط اللاصق كما رأيا فى فيلم أمريكى !

ـ الاحتمال الثالث : القصة كتبت بعد الجريمة فعلاً ، والسبب هو أن المؤلف يتمتع بقوى خارقة للعادة .. قوى ذهنية طبعًا تقع فى منطقة التخاطر والاستبصار والـ Psychokinesis .. لقد استطاع أن يرى الجريمة برغم أنه لم يكن هناك ... وهكذا قرر أن يستلهمها .. إنه كاتب لص لكن بطريقة غير مألوفة ...

ـ الاحتمال الرابع : وهو شبيه بالاحتمال الثالث .. (جوناثان) قادم من المستقبل ، أو قادر على أن يصير خفيًا ، أو قادر على الإسقاط النجمى Astral projection بحيث تتحرر روحه وتدخل أى مكان وترى كل شىء ثم تعود لجسده ..

لا أرفض الاحتمالين الآخيرين ، فأنا رأيت الكثير من قبل .. لكنى لا أضعهما فى أعلى القائمة ..

هل توجد احتمالات أخرى ؟

نعم .. الاحتمال الخامس هو أن هذا الزوج يعبث بى .. نوع من التسلية الشريرة لا أكثر .. لكن من الذى سيدفعه حب التسلية إلى حرق يده بهذا الشكل ؟

هكذا رحت أقلب الصفحات وأنا شارد الذهن ..

هنا لاحظت شيئًا فى الهامش بخط صغير جدًا .. إن القصة نشرت قبل ذلك فى مجلة اسمها (هورور فاكتورى) أو (مصنع

الرعب) فى مارس 1981 .. أى أنها لم تكتب للكتاب خصيصًا بل قبل صدوره بزمن طويل .. إذن القصة نشرت فى المجلة قبل الجريمة وفى الكتاب بعدها .. هذا يلغى معظم الاحتمالات باستثناء الثانى والخامس واحتمال أن الكاتب يرى المستقبل ...

لغته الإنجليزية جيدة .. سهلة بالنسبة لأجنبى مثلى ، وفى الوقت نفسه محكمة وعصرية .. كما أنه يجيد خلق التشويق .. هناك قصص سيئة فعلاً .. يبدو أنه كتبها دون معونة آلة الزمن تلك ..

يجب أن أقابل هذا الرجل للمزيد من الثرثرة .. طبعًا يجب أن تكون (ماجى) معى وإلا فلن أظفر منه بشىء .. لن يتذكرنى أصلاً ..

هناك قصة اسمها مغر وطولها مناسب جدًا .. ليست (الحرب والسلام) وليست قصة قصيرة جدًا مما يندرج تحت مصطلح Microfiction .. هذا بالضبط هو الطول المناسب كى يغلبنى النوم .. فلنقرأها ثم هو النوم ..

اسم القصة هو ....

ماكيــــاج

بقلم (جوناثان دارتمور)[*]

(*) نشرت للمرة الأولى فى مجلة (ويرد ستوريز) فى أغسطس .

- 1 -

لم يستطع (ويليام موريسون) قط أن يحب فريق العمل فى هذا الفيلم ..

كان يعرف أنهم أعطوه ميزانية محدودة جدًا ، وأن المدير غاضب ، وأن (سيلفرمان) العجوز فقد حماسه للمشروع تمامًا ..

لكن (موريسون) كان بالفعل بحاجة إلى هذا العمل .. لم يكن لديه مجال للاختيار . إن رصيده فى المصرف يقترب من الصفر ، وهذا هو السيناريو الوحيد الذى عرض عليه منذ عام..

اسم السيناريو هو (زوجى ميت حى) .. كتبه اثنان من ألعن عينة كتاب سيناريو على الإطلاق . فيلم سخيف امتلأ بالخضات الرخيصة ، والحبكة مأخوذة من دستة على الأقل من الأفلام الهوليوودية الشهيرة ، أولها بالطبع (ليلة الموتى الأحياء)..

لكنه قبل أن يصور هذا الفيلم ..

بالطبع كان الفيلم يدور فى نيويورك .. لكن (سيلفرمان) العجوز رأى أن هذا يكلف مالاً .. قال له وهو يبصق على الأرض كعادته :

ـ « دعك من هذا السخف .. سوف تصور الفيلم فى مزرعتى .. »

ـ « لكن هذا يجعل مسار القصة مختلفًا تمامًا .. بدلاً من رعب المدن نحن فى رعب الريف .. »

قال العجوز فى سخرية:

ـ « اسمع .. لو أراد المشاهد أن يخاف فلسوف يفعل ذلك فى نيويورك أو فى مزرعتى .. لو أردت أن تريه (البعبع) فلا فارق فى اختيار المكان .. »

ثم حك رأسه مفكرًا وقال :

ـ « لابد من نصيحة (روجر كورمان) .. أنت تعرف أنه كان يصور أفلامه بلا ميزانية على الإطلاق .. كان ينصح المخرج بأن يظهر أى جزء من جسد البطلة كلما مرت خمس صفحات من السيناريو .. لا يجب أن يكون هذا فى الحبكة .. اختلق أعذارًا .. اختلق مواقف .. دع البطلة تجرى فى الغابة فتمزق أغصان الشجر قميصها .. تصرف يا فتى .. تذكر أن هذه فرصتك الأخيرة .. »

لنفس الأسباب الاقتصادية تعاقد العجوز مع مجموعة من التماثيل الحجرية التى تعتبر أنفسها ممثلين .. ممثل متخشب بلا خبرة يلقى العبارات كأنه فى مسرح المدرسة ، وفتاة لا تعرف معنى كلمة التمثيل لكن جمالها صارخ ، وهذا هو الشىء الوحيد الذى تملكه ..

سيناريو متعفن .. ممثلون فى غاية السوء .. لم يبق إلا ماكيير أحمق ومخرج أبله كى تكتمل المأساة ..

بدأ التصوير فى المزرعة بلا حماسة ...

عندما ينتهى التصوير يظلون صامتين حتى اليوم التالى ، كأنهم لا يصدقون كل هذه الرداءة التى صنعوها .. الكل مكتئب .. فقط تعتقد الفتاة أنها ستصير نجمة بعد هذا الفيلم .. طبعًا يعرف (موريسون) أن هذا فيلمها الأخير ، ولسوف تشيخ لكنها ستحدث أحفادها عن أنها كانت نجمة سينما ..

أما الماكيير فكان فتى أحمق يدعى (بيتر) .. فتى له شعر طويل أسود يتدلى على كتفيه وقميص مشجر وهناك قرط يتدلى من أذنه مع الكثير من الوشم .. باختصار لا يمكنك أن تثق بأن ترسله لشراء علبة تبغ ، لكنه فى هذه اللحظات كان أهم شخص فى الفيلم . لم يكن قد اختبر بعد ، وكان يضع الماكياج الروتينى اليومى للشخصيات بلا مشاكل حتى جاءت اللحظة الكبرى ..

قال له (موريسون) وهو يضع بعض الخطوط على الورق :

ـ « بعد أسبوع سنقوم بتصوير مشهد عودة الزوج من المستنقع .. لقد تخلصت منه الزوجة هناك .. فى الظلام نفاجأ به يخرج منتفخًا مسودًا وقد تآكل جسده والتهمت الأسماك شفتيه وأنفه .. سوف يخرج من الماء والأعشاب المائية تغطيه ،

ولسوف يمشى بخطوات مترنحة نحو البيت .. تفتح له الزوجة الباب وتحاول فى ذعر مقاومته لكنها تفاجأ بأنها انتزعت ذراعه .. تلقيها جانبًا وتصرخ .. بعد هذا تفاجأ بأن كل من غرقوا فى المستنقع يهاجمون البيت .. يدقون على الجدران .. تحاول الهرب من النافذة لكن كلبًا ميتًا متحللاً يطاردها ... تجرى هاربة فتغرق فى المستنقع بدورها .. بعد أيام يصل رجال الشرطة .. يفتش أحدهم المستنقع بحثًا عن الزوجين المختفيين ، فتخرج يد من الوحل لتمسك بذراعه . نكتشف أن الزوجة نفسها تحللت .. جمجمتها بارزة وهناك عين متدلية على خدها .. إلخ .. »

عملية معقدة جدًا .. كان يعرف أن الفتى وجه جديد مستجد على المهنة ، وهذا أول فيلم له ، ومهاراته موضع شك حقيقى .. لكن ماذا يفعل ؟

ـ « هل يمكنك أن تجرى لى بروفة ماكياج ؟ »

هكذا غاب الفتى يومين ، ثم بدأ يجرى تجاربه على بطلى الفيلم .. ألصق الكثير من اللاتكس وأجرى الكثير من التغييرات فى اللون ، والتقط الكثير جدًا من الصور .

وفى النهاية خرج إلى المخرج يعرض عليه أفضل نتيجة توصل لها ..

فرك (موريسون) عينيه غير مصدق ..

عندما تتوقع التراب فأنت لا تتحمل أن ترى الوحل .. لقد كان يعرف أن النتيجة ستكون سيئة .. ستكون مريعة ، لكنه لم يتصور قط أن تبلغ هذه الدرجة .. لقد كان هذا أسوأ ماكياج رآه فى حياته .. كان نوعًا من أقنعة الأطفال البلهاء التى يضعونها فى ليلة (الهالوين) . مجرد صبية يمزحون .. لا أكثر ..

انفجر فى الماكيير :

ـ « أنت مجرد هاو لا تفقه شيئًا فى الماكياج ! ... لقد رأيت أطفالاً يضعون ماكياجًا أفضل من هذا ليخيفوا زميلاتهم فى الصف .. أنت الفشل يمشى على قدمين .. لابد أن يعرف (سيلفرمان) أن بقاءك معناه الفشل الذريع لهذا الفيلم .. »

وانطلق إلى مقطورته الواقفة وسط المرج وأغلق الباب عليه ..

لقد انتهى الأمر .. لن يشاهد هذا الفيلم سوى مجنون أو اثنين ، ولسوف يحصل (سيلفرمان) العجوز على عشرة دولارات كربح صاف .. أما هو فقد انتهى أمره .. عليه أن يتقن التعامل مع آلات تصوير المستندات ، لأن هذا سيكون عمله باقى حياته ..

قضى يومًا بلا عمل سوى التحديق فى السقف ، وفى مساء اليوم التالى جاء الماكيير الشاب إلى المقطورة ..

كان يخفى وجهه فى الأرض .. ظل صامتًا بعض الوقت ، ثم قال :

ـ « سيدى .. أرجوك ألا تبعدنى عن هذا الفيلم .. إنها فرصتى الأولى وقد لا تأتى ثانية أبدًا .. »

رفع نحوه (موريسون) عينين حمراوين وهمس :

ـ « ألم تفهم ؟.. أنا وأنت قد انتهينا .. غنينا أغنية البجعة الخاص بنا وانتهى كل شىء .. »

قال الماكيير فى تصميم :

ـ « لكنى لم أنته بعد .. وأنا أؤكد لك أننى قادر على أن أعطيك ماكياجًا ممتازًا .. فقط لى شرط واحد .. »

ـ « شرط ؟ »

ـ « أن تؤجل كل هذه اللقطات التى تحتاج إلى ماكياج معقد إلى قرب انتهاء التصوير .. إن الماكياج سوف يكون معقدًا ولسوف أرغم أبطالى على وضعه أكثر الوقت .. لهذا أريد أن تؤجل الأمر حتى النهاية .. »

ـ « حقًا لا أعرف جدوى هذا .. »

ـ « فقط جرب ... الشرط الثانى لى ألا ترى الماكياج إلا لحظة التصوير .. أريد أن يكون مفاجأة صادمة لطاقم العمل والممثلين الآخرين .. هذا ليس طلبًا صعبًا .. ممثلو الطريقة Method actors

وتلاميذ ستوديو الممثل يفعلون هذا كثيرًا ، خاصة وأدوارهم لا تحتاج إلى بروفات أو تسميع سطور .. »

لم يكن أمامه من حل آخر .. على كل حال كان يعرف الحقيقة جيدًا .. من يصنع مثل هذا الماكياج الأبله لا أمل منه ، ولن يفيده أن يعطى فرصة ثالثة أو عاشرة ..

لكن ما الذى تخسره ؟

* * *

أخيرًا اقترب اليوم ..

قرب المساء اتجه إلى موقع التصوير فى المزرعة وسأل الماكيير عن بطليه .. هل هما مستعدان ؟ . إنه لم يرهما اليوم ..

قال الفتى وهو يضحك فى ثقة :

ـ « كل شىء جاهز .. لقد أعددت الماكياج .. »

هكذا بدأت الكاميرا تعمل .. هذه اللقطة تتضمن هجوم الزوج على البيت ..

وللمرة الأولى هذا اليوم رأى (موريسون) بطل الفيلم فى الماكياج الجديد .. ما هذا ؟.. إنه شىء شنيع مريع مغطى بأعشاب البحر .. لقد جاء من خلف البيت وهو يترنح كأنه ميت فعلاً .. اتجه للباب يقرعه ..

فتحت الممثلة الباب ، ولابد أن الرعب أصابها فعلاً .. لابد أنها ترى الماكياج للمرة الأولى .. صرخت وحاولت المقاومة .. لكن الزوج أمسك بذراعها .. قاومت بعنف فسقط ذراع الممثل على الأرض ..

ما هذه الروعة ..؟.. إن المصور ومدير الإضاءة يراقبان المشهد وهما يشهقان انفعالاً .. حتى الفتى المسئول عن لوحة (الكلاكيت) أصابه الذهول .. ما هذه المعجزة ؟

هنا انفتحت أبواب الجحيم عندما أحاط بالبيت خمسة من تلك الكائنات الغارقة وراحوا يدقون على الجدران..

تجرى الممثلة هاربة بينما المصور يلاحقها بالكاميرا ..

هنا يظهر ذلك الكلب المتحلل من مكان ما .. ما هذا الشىء الشنيع ؟.. هل هو كلب حقيقى تم عمل ماكياج له أم هو كلب ميكانيكى يتحرك بأسلوب (أنيماترونيكس) ؟.. مستحيل لأن ميزانية الفيلم لا تسمح ...

الممثلة تركض خائفة مبتعدة عن البيت ...

عندما انتهى التصوير صفق الجميع غير مصدقين .. وصاح فنى الصوت :

ـ « هذا لا يصدق !.. لقد أصابنى الرعب أنا نفسى .. »

وقال فتى آخر :

ـ « كدت أشم رائحة العفن من هذه المسوخ .. إن هذه عبقرية .. »

بينما هتفت فتاة التتابع وعيناها مغرورقتان بالدمع :

ـ « لقد تفوق على (ديك سميث) ... هناك أفلام يدخلها الناس ليروا المؤثرات الخاصة فقط .. هذا الفيلم سوف يحقق أرباحًا عظيمة ، ولن يصدق أحد ما يسمعه حتى يدخل السينما فعلاً .. »

ثم مالت على الفتى (بيتر) وسألته فى حرارة :

ـ « هل لديك صديقة ؟.. تذكر أننى فى الصف أنتظر متى غيرت رأيك .. »

هكذا كان الجو العام ، ولم يصدق المخرج عينيه .. حسب أنه يحلم .. بالتأكيد يحلم ..

هنا قال له الماكيير الشاب بلهجة متعجلة :

ـ « يجب أن نصور أكبر قدر من المشاهد فى هذه الأيام .. هل تقدر على تصوير مشهد خروج الزوج ويد الزوجة من المستنقع هذه الليلة ؟ »

طبعًا لقطات المستنقع تصور معًا مهما كان ترتيبها فى الفيلم .. لكن (موريسون) كان مرهقًا .. تثاءب وقال للفتى المتحمس :

ـ « مستحيل .. لابد من إعداد كل شىء وانتقاء بقعة مناسبة .. »

ثم نظر حوله وتساءل :

ـ « أين الممثلون ؟.. أين جيمس وباربرا ؟ ... وطاقم الغرقى العائدين الممتاز هذا .. »

قال الفتى فى لهفة :

ـ « تواروا عن العيان .. إنهم فى الجرن الآن حيث سيقضون الليلة .. أنت وعدت بأن تقبل شروطى ، وأنا أصر على أن ينعزلوا عن الباقين هذه الأيام .. أريدهم أن يعيشوا الماكياج ويتخللهم .. »

ـ « على الأقل قل لى كيف دبرت حيلة الذراع المقطوعة هذه .. لا يبدو لى أنه كان يخفى ذراعه داخل سترته .. ثيابه كانت ممزقة تكشف عن كل شىء .. »

ـ « كل هذه الأسرار تعرفها مع لقطة المارتينى .. صدقنى .. »

لقطة المارتينى عند السينمائيين هى آخر لقطة فى الفيلم .. على كل حال انصرف الكل سعداء راضين .. ما عدا واحدًا ..

* * *

أنت رأيت كل هذا يا (موريسون) ..

ألم يبد لك حقيقيًا ؟.. أنت تعرف الفارق بين الإيهام والحقيقة .. هل شعرت بالإيهام فى هذا كله ؟

أنت تمشى وسط المستنقعات .. لا تدس هنا يا أحمق ..هذه ليست جذوع أشجار .. إنها أيدى موتى .. إنها تخرج من الوحل .. تحاول الإمساك بك .. الكلب الشيطانى المشوه يركض فوق الأوحال لكنه لا يغرق .. حاول أنت أن تفر لكن الأرض زلقة .. زلقة ..

اصرخ !.. ما لصوتك محتبس فى حنجرتك ؟.. ألم تفهم ؟.. لأنه كابوس يا أحمق .. لا أحد يجد صوته للصراخ فى الكوابيس ..

انهض .. العرق يغمرك .. الدوار يوشك على أن يفتت رأسك .. تتناثر العظام لتصنع مدارًا أبديًا حول مخك العارى .. هناك شىء خطأ ... شىء ما خطأ ..

تنهض من النوم فى مقطورتك .. شىء ما خطأ ..

تعرف ذلك ..

تجرع جرعة هائلة من زجاجة الماء الموضوعة جوار الفراش الصغير ، فيغرق الماء صدرك ، ثم تنهض .. أنت بحاجة إلى أن تجد (بيتر) .. بحاجة إلى أن تفهم ..

العرض كان مبهرًا ممتعًا ومن الواضح أن الفيلم قد نجح قبل أن يعرض .. أقسى النقاد قلبًا سوف يكتب قائلاً : « الفيلم ردىء والتمثيل بدائى ، لكن لابد من مشاهدته من أجل مؤثراته الخاصة التى لا تصدق .. »

لكن لابد أن تفهم .. أنت لست بائع صحف ولا خبازًا .. أنت فى المهنة ويجب أن تفهم .. أنت ربان هذه السفينة وعليك أن تعرف موضع كل مسمار فى القاع ..

هكذا ينهض .. يمشى فى الخلاء وسط المزرعة الصامتة المظلمة .. يتجه إلى الجرن .. هناك ضوء خافت من تلك النافذة .. يبدو أن (بيتر) سهران مع الممثلين ، ومن المثير أنه لا يشعر بالرعب منهم .. الماكياج متقن لدرجة أنه يخيف صانعه نفسه ..

اتجه إلى المدخل وفتح الباب الخشبى الذى يصدر صريرًا .. (بيتر) ..

ـ « (بيتر) ! »

ليس هنا .. فقط هناك مصباح يضاء بالكيروسين .. هناك كتاب عملاق مصفر الصفحات مفتوح .. هناك شمعة سوداء .. شمعة سوداء ؟.. هناك دمية قماشية على المنضدة ..

لحظة .. هذا الذى أراه على الأرض .. أليست نجمة خماسية ؟.. وهذه ؟.. أليست قطرات دم ؟ ...

لا أعرف من كان هنا لكنه يمارس السحر الأسود .. لا شك فى هذا . الكتاب يتحدث عن سحر الفودوو .. العقيدة الودونية بالذات ..

لماذا يدرس بيتر هذا الكلام الرهيب ؟

هنا رأى كومة القش التى تم تكويمها عمدًا فى الركن لتخفى أشياء .. اقترب منها وأخرج الكشاف الصغير الذى يحمله فى جيبه وصوبه ..

لم يكن هذا ماكياجًا .. عرفت هذا منذ اللحظة الأولى !.. لهذا يستطيع أن يصنع كل شىء .. لهذا يمكنه أن يمزق ما يريد من أنسجة ، ويحدث أية تشوهات .. عندما يقتضى الأمر أن تسقط عين البطلة على خدها سيكون هذا سهلاً لأنه كذلك فعلاً !.. أسهل الطرق لعمل ماكياج شخص محترق هو أن تحرق شخصًا بالفعل .. يمكنك عمل ماكياج جثة متحللة بأن تقتل شخصًا وتدعه يتحلل ..

ومن هؤلاء التعساء الذين لعبوا دور الجثث العائدة من المستنقع ؟

بيتر مجنون .. بيتر سفاح .. لكن السؤال المهم هو : كيف استطاع تحريك جثث قتلاه ؟.. لأنه يمارس الفودوو وهى العقيدة

التى يطبقها من يصنعون الزومبى .. لقد عرف شيئًا مهمًا وأصر على أن يطبقه ...

هنا سمع صوت عواء من خلفه فأجفل ..

استدار بسرعة ليرى بيتر .. كان جاثيًا على ركبتيه يغطى وجهه ويعوى كالذئاب .. كان يبكى ولكن لماذا ؟.. كيف جاء ومتى ؟

ـ « لن أستطيع أن أعيدهم !.. أنا شيطان .. أنا مجرم !.. لقد وعدنى بأن يعلمنى كيف أعيدهم !.. كنت سأعيدهم بمجرد انتهاء التصوير لكنه خدعنى !.. خدعنى ! »

ـ « من وعدك بأى شىء ؟ »

لكن الفتى كان يعوى بلا انقطاع .. لا يجيب عن أى سؤال ..

ـ « من وعدك ؟.. كيف قتلتهم ؟ »

ـ « أنا قتلتهم !... استدرجتهم هنا واحدًا تلو الآخر بزعم إجراء بروفات وقتلتهم .. ثم بدأت الطقوس .. بدأت الطقوس ! »

هنا كانت أعصاب (موريسون) قد تخلت عنه تمامًا ..

لا يعرف كيف أمسك بالمصباح وفتح الصمام وراح يسكب الكيروسين على الفتى ، ثم ركض نحو المشهد الشنيع وراء القش فسكب ما تبقى من كيروسين ، وألقى بالمصباح المشتعل ..

هذه البشاعة لن يطهرها سوى النار .. يجب أن يحترق كل شىء .. كل شىء ..

تمسكت النار بالفتى الراكع الباكى لكن المخيف أنه لم يتحرك .. لم يبد أى ألم .. الصراخ المريع جاء من هؤلاء الراقدين فى ركن الجرن ..

أية أصوات مريعة غير آدمية أصمت أذنى (موريسون) وهو يترنح قاصدًا الباب ..!

فقط فى هذه اللحظة تذكر أنه كان أخرق .. تذكر أنه لم يرش الكيروسين بطريقة منهجية بحيث يسمح لنفسه بخط رجعة .. لقد سد الطريق على نفسه نحو الباب ..

وعندما اشتعلت النار فى سترته وعندما سقطت رافدة خشبية فوقه ، كان آخر شىء خطر له هو أنه محظوظ .. لم يعد من الممكن أن يعيش ثانية واحدة بعد ما عرف السر الرهيب ..

جرن محترق ورماد وعظام متفحمة .. هذه أنظف نهاية ممكنة لهذا الكابوس ...

تمت

- 2 -

لا بأس بها كقصة .. فكرت فى هذا وأنا أغلق الأباجورة .. صحيح أن الرجل سادى نوعًا ويستمتع بوصف البشاعة ، لكنها ليست سيئة .. موت المخرج لا مبرر له فى رأيى .. كان يمكن إنهاء القصة نهاية نظيفة باحتراق الماكيير فقط ..

هناك الـ ... هناك الـ ... ماذا كنت أقول ؟.. الأفكار تتطاير علامة على أن التكوين الشبكى فى مخى قد بدأ يتثاءب بدوره .. الأنوية الأمامية فى المهاد التحتى تعمل ... إنه النوم .. إنه النوووم ..

ثم ...

لحظة من فضلك .. هناك جثث محترقة تنهض لتؤدى دورها فى فيلم سينمائى .. القصر كبير جدًا وأنا وحدى فى هذا الجناح كله .. أقرب كائن حى على بعد عشر دقائق من المشى داخل هذه الممرات .. ممرات تعج بأشباح أجداد (ماجى) .. السير (فلان ماكيلوب) والدوق (علان ماكيلوب) .. كلهم الآن ينهضون ليبدءوا جولتهم الليلية .. وأنا هنا .. فى الظلام .. وحدى ...

من الصعب أن تثير رعبى بعد كل ما رأيته ، لكن فى الوقت ذاته هذه القصة أثارت عدم راحة فى نفسى فعلاً .. الرعب لا يصنع أى تأثير إلا إذا كانت الظروف من حولك تسمح بذلك ، كما أن قصائد الحب تبدو كلامًا فارغًا لمن لا يحب ..

هل أتصل بـ (ماجى) وأتكلم معها هاتفيًا حتى الصباح ؟.. من الصعب أن أذهب لأوقظ رئيس الخدم وأنام فى فراشه طلبًا للأمان .. لن يبتلع بروده الإنجليزى السمج هذا التبسط .. لا حل سوى أن أبقى حيث أنا وأتمنى أن أنام بسرعة ...

كم الساعة الآن ؟.. رحماك أيها النهار .. كف عن التلكؤ ولعب الكرة فى الأزقة والوقوف على الناصية ومعاكسة الفتيات .. تعال بسرعة من فضلك ..

* * *

جلست على مائدة الإفطار العامرة ـ كأنها بوفيه مفتوح ـ أنقل لطبقى ما يمكن أكله . أعرف أن (ماجى) حرصت على أن تكون المائدة عامرة لأننى ضيفها .. فيما عدا هذا هى تمقت الأكل فعلاً وتعتبره عملية تعذيب .. أما لغز بقائها حية وهى لا تأكل أى شىء ، فعلم ذلك عند الله وحده ، ولعلها تمارس شيئًا شبيهًا بالتمثيل الغذائى لدى النباتات .. تعتمد على الشمس وثانى أكسيد الكربون لتصير هى (ماجى) ..

كنت فى أسوأ حال كما لك أن تتصور .. مرهق متعكر المزاج ، فلربما لم تعرفنى وأنا جالس إلى المائدة وحسبتنى مصيبة أو خبرًا سيئًا ..

هذه هى الجريدة المحلية .. لها اسم اسكتلندى غالى ـ نسبة للغال ـ صعب النطق ، لكنها بالإنجليزية والحمد لله .. كسرت قمة البيضة ودسست فيها الملعقة ، وأنا أطالع عناوين الصحيفة ..

جاءت (ماجى) مشرقة كالعادة فألقت على تحية الصباح :

ـ « طائرى الصغير يبدو كمن نام ليلته فى خلاط أسمنت .. »

ـ « أنت قلت من قبل إن هذا أسلوب حياتى .. فقط كان الخلاط أسرع من اللازم أمس .. هناك جثث تخرج من المستنقع لتمثل فيلمًا وأشياء من هذا القبيل .. »

هزت كتفيها فى شبه ضحكة وهى تتخذ مقعدها إلى جوارى وصبت لنفسها كوبا عملاقًا من عصير الأناناس ، وقالت :

ـ « لابد أن هناك قصة مثيرة تتعلق بهذا الموضوع ، لكن افرغ من إفطارك أولاً .. »

تابعت العناوين بسرعة ، ثم سألتها بشكل عابر :

ـ « هل هناك دار سينما اسمها (تنزل تاون) هنا ؟ »

- « نعم .. ماذا هنالك ؟ »

قلت وأنا أضع البيضة جانبًا :

- « مشاهد احترق وهو يشاهد فيلمًا فيها أمس .. لم يكن هناك أى سبب للاحتراق كما قال الشهود ..فقط اشتعلت فيه النار وهو يشاهد الفيلم .. »

تقلص وجهها فى تقزز وعدم فهم ، فقلت :

- « احتراق ذاتى autocombustion إن كنت أحسنت فهم الخبر .. هناك قصص كثيرة عن ذلك فى الكتب الفورتية Fortean .. أشخاص يتكلمون أو يجرون أو يرقصون ثم فجأة يشكون من السخونة .. وسرعان ما يتحولون إلى رماد .. فى حالات كثيرة تظل الثياب سليمة لسبب مجهول .. »

- « هذا كلام فارغ .. هل رأيت حادثًا مشابهًا ؟ »

- « لم يكن احتراقًا ذاتيًا ، ولكن كانت لعنة من يدعى (شاكال) .. هذه قصة طويلة .. لكننا هنا نقرأ عن اشتعال ذاتى بالمعنى الحرفى للكلمة .. »

قالت وهى تضع الكوب جانبًا :

- « هذا هراء .. أسوأ الأخبار وأقلها دقة علمية هى التى تقرؤها فى الصفحة الأولى من الجرائد .. »

ثم تذكرت شيئًا فأضافت مقطبة جبينها :

- « كانت هناك قصة قرأتها لـ (جوناثان دارتمور) .. نفس الأديب غريب الأطوار الذى كنت تقرأ قصصه أمس .. قصة طريفة عن دار سينما فيها أربعة مقاعد لا يتم حجزها أبدًا .. من يجازف ويجلس فى هذه المقاعد يحترق ... لا أذكر التفاصيل لكن المجموعة القصصية عندى .. »

توقفت عن التهام الطعام .. رفعت رأسى فى اهتمام وسألتها :

- « يجب أن أقرأها .. هل هى متاحة ؟.. أعنى هل الوصول لها سهل ؟ »

- « بالتأكيد .. »

وهكذا غابت عن مائدة الإفطار لفترة قصيرة جدًا .. نحو ساعتين أو أقل قليلاً ، ثم عادت من غرفة المكتب الخاصة بها ومعها كتاب مغلف بغلاف سميك ، ويحمل عنوان (حكايات لا تناسب البالغين) .. واضح أنه تنويع ساخر على عبارة (حكايات لا تناسب الأطفال) ..

- « ألن تخرج اليوم ؟ »

- « نعم .. سوف أطالع بعض هذه القصص اليوم .. »

* * *

صافحنى مدير السينما الشاب المتشكك ورفع نحوى عينين متسائلتين ، فجلست على المقعد أمام مكتبه وفردت الصحيفة لأريه الخبر الرهيب ..

نظر لى بعينين متسائلتين من جديد .. لسان حاله يقول : تشرفنا ..هل من شىء جديد ؟

قلت فى وقار :

ـ « أنا أؤلف كتابًا سيصدر بالعربية فى بلدى عن الأساطير الحضرية عبر العالم ، وقد بدا لى أن دار السينما هذه تحمل قصة ممتازة .. فقط أؤكد لك أن الكتاب سيصدر بالعربية ولن يقرأه أحد من قارئى الإنجليزية ، ثم إننى سأوقع لك تعهدًا بعدم ذكر اسم دار السينما برغم إنه فى أحوال معينة قد تكون هذه دعاية ممتازة .. »

قال فى لا مبالاة :

ـ « لا أبالى أن تنشر اسم الدار أو لا تنشره .. فقط أريد معرفة ما ترمى له .. »

ـ « أريد معرفة إن كانت هناك أساطير تحيط بهذه الحادثة .. أشياء يحكيها العاملون المسنون أو شىء من هذا القبيل .. »

ابتسم كمن كان يعرف أننى سأسأل هذا السؤال وقال :

ـ « هناك خرافة قديمة .. يبدو أن المسنين يعرفونها لكنى لم أعش هذه الحادثة للأسف .. يقولون إن أسرة كاملة ماتت هنا فى الماضى ، وإن أشباحها تحجز المقاعد الأولى فى الصف الأمامى كل ليلة .. طبعًا هذا سخف ، لكنه أقوى من القانون .. لهذا يتجاهل عامل الشباك هذه المقاعد عند الحجز .. هذا عرف قوى كما أن الفنادق لا تكون فيها غرفة رقمها 13 .. هذا أقوى منك .. لكن هذا المشاهد البائس لم يحب مقعده كثيرًا وقام بتبديله فى الظلام .. »

هنا تذكرت شيئًا فسألته :

ـ « أى فيلم كانت دار السينما تعرضه ليلة أول من أمس عندما احترق ذلك المشاهد ؟ »

قال باسمًا :

ـ « فيلم رعب اسمه (أوركا) .. هل تعرفه ؟ »

ـ « لا .. الاسم يبدو مألوفًا .. »

ـ « أنت تعرف هذا الجو .. بحر هائج وسفن غارقة وحيتان غاضبة .. باختصار هو صيغة أخرى رديئة من فيلم (الفك المفترس) ! »

- 3 -

قلت لـ (ماجى) وأنا أتصفح مجموعة القصص القصيرة تلك :

- « الآن أنت تعرفين ما أعرفه ، ومن الجلى أن هذا كله سيبقى سرًا .. »

قالت فى ضيق وهى متربعة كقط صغير فى مقعدها المفضل :

- « قلت لك إنه لا يمكنك الثقة فى (أنتونى) هذا .. لو قال لك إنه برىء فهو قاتل .. لو قال إنه قاتل فإننى أرجح أنه يكذب وأنه لم يمس زوجته بسوء .. الخلاصة أنه كاذب فى جميع الظروف .. هذا الطراز الهستيرى المغرور المليء بالخيلاء ، والذى يبدو ظريفًا فى المجتمعات لكنه خاو تمامًا .. كل كلامه كذب .. كل وعوده كذب .. والمصيبة أن هذا الطراز يعجب الفتيات جدًا .. »

- « هذا لغز .. ولماذا يروق لهن ؟.. هل لأنهن ينخدعن بكلامه ولطفه ؟ »

- « بعضهن ينخدعن .. لكن الأغلب أن الفتاة تهوى العبث مع مخلوق خطر كهذا .. نفس المتعة التى تشعر بها عندما تلعب مع ثعبان سام ، عالمة أنها قادرة على أن تتحاشى لدغاته .. »

ضحكت كثيرًا ونظرت لها وهى جالسة بنحولها المعهود ، حافية القدمين متربعة وقد وضعت على حجرها حرامًا ملونًا بتلك الألوان الزاهية المميزة للسبعينات وأوائل الثمانينات . قطة فى منتصف العمر مغتاظة بطريقة ظريفة فعلاً ..

قلت لها :

- « تعرفين عنه كل شىء .. هل ضايقك ؟ »

- « فكر فى أن يبدو فاتنًا ، لكن لعبته كانت واضحة .. العانس الثرية مناسبة له وقد انتهى رصيده فى المصرف .. لهذا عاملته كما يستحق .. »

ثم حكت شعرها الأشقر الطويل وقالت :

- « (أنتونى) قد يكون كاذبًا .. لا يمكنك أن تعرف الحقيقة أبدًا .. لكن قصة السينما هذه لا تروق لى .. »

قلت وأنا انظر فى ساعتى :

- « لهذا قررت أن أدخل السينما هذه الليلة .. هذه السينما تختلف عن المذكورة فى القصة ، فهى تقدم عرضًا يوميًا ، ومن المثير أن عرض اليوم هو (أوركا) .. »

- « هل تمزح ؟.. نحن تجاوزنا منتصف الليل .. »

- « هذا هو الوقت المناسب بالضبط .. القصة انتهت بالبطل وقد دخل السينما بعد مواعيد الحفلات .. فماذا حدث بعدها ؟.. (جوناثان) هذا مولع بالنهايات المفتوحة كما يبدو .. أنا سأغلقها .. »

قالت فى لهفة سرتنى :

- « سوف آتى معك إذن .. »

عرض مرفوض طبعًا .. النساء يزدن الأمر تعقيدًا لأننا نحمل همهن ، وهن يشكلن نقطة هشة فينا يمكن الهجوم عليها بسهولة .. الرجل المنفرد هو الأفضل والأقدر على التفكير السليم .. قاعدة عرفها الجميع بدءًا بقيادات الجيش الأمريكى وانتهاء بى ..

- « آسف .. ولا داعى للإلحاح .. هذا قرارى الأخير .. »

وهكذا يمكن أن أختصر الأحداث .. لقد ذهبت إلى السينما فى ساعة مبكرة جدًّا من صباح اليوم التالى .. أوصلتنى (ماجى) بالسيارة الصغيرة وتركتنى مع وعد بأن تعود بعد ساعة لنفس المكان .. السينما قريبة لكنها تحتاج إلى سيارة للوصول لها فى هذا الوقت ..

أنا لست شجاعًا .. لست أحمق .. لكنى فضولى لأقصى درجة ، وقد قدرت أن نظرة واحدة تكفى كى أستريح بقية حياتى ..

* * *

بالفعل سمعت صوتًا خافتًا من داخل البناية ..

هناك فيلم يدور بالداخل ، وهذه السينما لا تقدم حفل منتصف الليل .. صاحب السينما يعرف شيئًا بالتأكيد ..

هناك تلك النافذة السفلية التى وجدها بطل القصة .. سوف أزيحها وأدخل .. ثم ماذا ؟.. ماذا فعل بعد ذلك ؟

« *أخرج الأداة التى حملها ودسها بين مصراعى النافذة الصغيرة وضغط وهو ينظر خلفه فى حذر ..* »

نعم .. معى أداة صالحة ..

« *دس جسده فى الفتحة ، ثم أخرج الكشاف ..* »

معى كشاف كذلك .. هذا جميل ..

« *هذه هى الصالة الخالية .. تقريبًا ...*
يقف فى نهايتها وينظر .. »

بالفعل مشاهد الفيلم تدور على الشاشة .. هل هناك عامل عرض فى المقصورة ؟.. هذا يزيد الأمور تعقيدًا ..

بالفعل هم هناك .. فى الضوء القادم من الشاشة أرى (السلويت) الخاص بهم .. أربعة ظلال .. أربعة أشخاص يبدون كالبشر يراقبون الشاشة حيث حوت ضخم يلتهم فتاة .. لا أعرف

بالضبط فأنا لا أنظر للشاشة .. من المجنون الذى ينظر للشاشة فى ظروف كهذه ؟

الآن أعرف أن (جوناثان) سمع الأسطورة .. هذا ليس صعبًا .. كل كاتب رعب يهوى جمع القصص المخيفة فى المنطقة التى يكون فيها ، وينسج قصته على أساسها .. هذا مؤكد ..

أما الأهم فهو أن الأسطورة حقيقية .. حقيقية تمامًا ..

هناك احتمال لا بأس به أن يكون هؤلاء أشخاصًا طبيعيين .. ربما هو حفل خاص أقامه أحد الأثرياء لأسرته .. ربما هو صاحب السينما نفسه ..

لابد أن أرى المقصورة .. لم يشعر أحد بى ..

هكذا تسلقت الدرج المعدنى الذى يقود لمقصورة العرض حيث كانت الآلة لا تكف عن الهدير مع الحرارة الشيطانية التى كانت آلات العرض تبعثها فى ذلك الزمن ..

أطللت بعنقى للداخل كقط أصلع ..

لا يوجد أحد .. آلة العرض تعمل وحدها بلا (مكنجى) .. لكن من يبدل البكرات ؟.. من يطفئها بعد انتهاء العرض ؟.. هنا رأيت ذلك السلك على الأرض يتدلى خارجًا من فجوة فى الجدار ..

إذن مدير السينما يضع البكرة ويعدها للعرض ، ثم يرحل .. غالبًا يعود لداره المجاورة للسينما .. ثم من هناك يشغل آلة العرض لتعمل وحدها ، لأنه لا يريد أن يكون هنا عندما يبدأ العرض .. لا يريد أن يرى .. طريقة بدائية لكنها تتناسب مع إمكانيات ذلك الزمن على كل حال . بعد ثلث ساعة ـ أو ما يقدر أنه طول البكرة ـ يغلق الدائرة وهو فى بيته فيعم الظلام وترحل الأشباح .. طبعًا لا تهتم الأشباح بالتتابع ولا الحبكة .. هى تريد بعض المشاهد على الشاشة فقط .. هذه البكرة هى القربان الذى يقدمه لها كى تترك الدار فى حالها ..

نظرت من شباك العرض إلى الصالة .. يمكن بسهولة أن أرى هؤلاء المشاهدين غريبى الأطوار .. يمكن أن ....

ماذا ضربت بقدمى ؟.. يا لى من أحمق !

لقد فصلت السلك الذى يجرى على الأرض .. توقفت آلة العرض وأظلمت الشاشة .. يجب أن أعيد التشغيل يجب ..

رحت أفتش عن القابس الذى انتزعته من موضعه .. عن الـ ...

لم أدر أن هؤلاء المشاهدين غادروا مقاعدهم غاضبين .. لم أدر أن أحدهم صعد نحو المقصورة .. لم أدر أنه يقف على الباب ..

كنت جاثيًا على ركبتى أفتش عن السلك على الأرض عندما رأيت فى مجال إبصارى هاتين القدمين ..

هاتين القدمين المتفحمتين ...

- 4 -

ولكن دعونا من هذه التفاصيل المملة ، ولننتقل لحادث مثير بالفعل .. إن محاصرتك فى مقصورة عرض سينمائى من قبل جثة متفحمة تهوى مشاهدة أفلام البحر أمر ممل مرّ به معظمنا .. التجربة المرعبة فعلاً هى ما مر به (أنتونى كارلستون)..

فيما بعد عرفت أن هذا ما حدث .. سوف تعرف بعد قليل كيف عرفت هذا ..

كان الليل قد جاء فاتجه إلى مرآة الحمام وتناول قرصين من المهدئ الذى يحفظه فى الصيدلية هناك ، وتأمل وجهه .. إنه ما زال وسيمًا برغم الضغوط العصبية التى كان يلاقيها ..

لقد خلا القصر تمامًا .. لقد طرد الخدم وقرر أن يبدأ من جديد تمامًا ..

بالفعل قام بردم البئر التى ذوب فيها (مادلين) وقام بتبديل السجاجيد التى وجد فيها ثقوب الحمض ..

فترة عصيبة مرت به منذ كانت قطرات الحمض فى كل مكان ، وفى تلك الليلة منذ أسبوعين ملأ المغطس بالماء استعدادًا لأخذ حمام دافئ ..

تجرد من ثيابه واستعد ليغطس فى الماء ، عندما لاحظ بحاسته المرهفة أن الصابون السائل لم يحدث الرغوة الجزلة المتوقعة .. لقد تحول إلى مادة تشبه الطبشور ترقد فى القاع .. لماذا لا يبدو الماء شفافًا رقراقًا ؟.. هكذا بدأ يفهم الحقيقة لكنه تأخر عن ذراعه اليسرى .. الذراع التى امتدت لا شعوريًا إلى الماء ، وهنا صرخ كأن هناك من يحرقه حيًا .. بالفعل كان هناك من يحرقه حيًا .. المغطس مليء بالحمض !!

لقد نجا بمعجزة ما من عملية إعدام بشعة ...

هكذا أفرغ المغطس وسكب محلول البيكربونات على ذراعه ، لا لسبب إلا لأن بطل قصة (جوناثان دارتمور) فعل ذلك .. فهو لم يكن يفهم حرفًا فى الكيمياء ..

الآن وبعد العودة من المستشفى صار على يقين تام من أن روح (مادلين) تطارده .. شبحها .. لعنتها .. أى شيء ..

ثم تذكر كتاب (جوناثان) .. هنا خطر له إن هذه كلها مؤامرة مدبرة من الكاتب . محاولة لدفعه للجنون أو التهور أو الخضوع للابتزاز .. كيف يستطيع الكاتب أن يغير مياه الاستحمام إلى حمض وهو فى بيته ؟.. لا يعرف ، لكنه قدر أن فى الأمر لعبة كيميائية ما .. ربما هى مادة فى الصابون الذى استعمله ..

وكيف عرف (جوناثان) كل هذه التفاصيل ؟

هناك تفسير ... حتمًا هناك تفسير .. لكن لا يتحدثن أحد عن الزوجة التى عادت لتنتقم .. المشكلة أنه اعترف بكل شيء لذلك الطبيب الأحمق الذى قالت ماجى إنه عبقرى ، لكن ذلك الطبيب الأحمق لم يملك ما يقدمه سوى الذهول .. سوى الدهشة ...

هكذا رفع سماعة الهاتف .. وطلب (جوناثان) ...

جاء صوت الكاتب المميز المتوجس قليلاً .. فقال له :

- « اسمع يا بنى .. هذه الألعاب لن تنطلى على .. »

- « من المتحدث ؟ »

- « أنت تعرف من المتحدث .. ذلك الأحمق الذى تحاول ابتزازه .. أنت عرفت شيئًا ما وتحاول الاستفادة منه .. هل دسست كاميرات مراقبة فى القصر أم هم الخدم ؟ »

- « عم تتكلم ؟ »

- « إن لكل منا نقطة ضعف مريعة ، وثق أننى سأنبش فى حياتك لأجد هذا الشيء ، فإن لم أجد لاستأجرت قاتلاً أجيرًا ينسف رأسك .. لا تعبث معى .. صدقنى .. أنت اخترت الشخص الخطأ .. »

ثم وضع السماعة راضيًا عن نفسه .. لابد من الحزم .. إن المؤلف سيصاب بالذعر من لهجة هذه المكالمة القاطعة . ...

صحيح أنه لا يفهم شيئًا ولم يجب عن أية علامة استفهام ، لكنه واثق أن الأشباح ستتوقف .. لا بأس بألا نفهم الشىء ما دام خطره قد انتهى ...

الآن خلا له القصر وتوقفت الحوادث المرعبة ..

كان أول شىء قام به هو أن تزوج (باتريشيا) الراقصة الحسناء ذات الأصل الروسى .. تم كل شىء بسرعة جهنمية ، وقد انتقلت لتعيش معه فى القصر توطئة لأن تبدأ رحلة شهر العسل بعد غد ..

إنها مخلوقة فاتنة أنيقة ، وتمت لعالمه فعلاً .. عالم الثراء والسيارات الفارهة وأندية الليل والطعام باهظ الثمن .. تحفة يضيفها لهذا العالم ويفخر بها كما يفخر الأثرياء بمجموعة من لوحات (رينوار) أو (مانيه)...

لم يدع أحدًا للزفاف .. لم يقم أى حفل .. لقد تم كل شىء فى ليلة واحدة ، فهو لايثق بهؤلاء الأصدقاء المزيفين من أمثال (جوناثان) و(ماجى) وسواهما ...

الآن هو فى الفراش بمنامة حريرية أنيقة .. الغرفة الواسعة المريحة بستائرها الثمينة ، وأغنية شاعرية تنبعث من جهاز (الهاى الفاى) ...

(باتريشيا) فى الحمام الملحق بالغرفة .. سوف تأتى حالاً ..

أطفأ النور وراح يتأمل السقف ويدندن مع اللحن الرشيق ..

« *وجدت حبى فى بورتوفينو*

« *لأننى ما زلت أؤمن بالأحلام* ..

« *مع سحر الصباح العذب*

« *حملك البحر لى* ..

« *بعينين نصف مغمضتين*

« *فى بورتوفينو*

« *أستعيد صورتك* .. »

جاءت باتريشيا .. بقامتها الرشيقة الفارعة مدثرة بالظلال ، قادمة من أرض لم يرها إنسان من قبل .. تأتى عكس الإضاءة الخافتة شفافة هفافة ..

ترقد فى الفراش جواره .. تقترب .. تحيط عنقه بذراعها .. إنها تدندن مثله بصوتٍ مكتوم :

« وجدت حبى فى بورتوفينو

« لأننى ما زلت أؤمن بالأحلام .. »

أغمض عينيه .. من أجل لحظات كهذه قتل .. إن (باتريشيا) هى العلاج الوحيد كى ينسى منظر زوجته وهى تصرخ عندما ابتلعتها البئر ..

غارقًا فى نشوة الأغنية سمع (باتريشيا) تصيح:

ـ « لا تنم يا حبيبى !.. أنا قادمة ! »

لكن الصوت لم يأت من (باترشيا) النائمة على صدره ، بل من (باتريشيا) أخرى هناك فى الحمام !.. إنها ما زالت فى الحمام إذن !.. لكن .. من هذه إذن ؟

هنا أدرك أنها مبتلة جدًا .. ثم فهم بصعوبة أنها تذوب .. فعلاً تذوب .. وأن السائل حارق جدًا !!.. لقد تشكل الحمض فى صورة (باتريشيا) واندس جواره فى الفراش .. عانقه .. إنه لكمين محكم !... المرأة التى كانت على صدره قد تحولت إلى بركة من الحمض .. وها هو ذا يغرق فى السائل الحارق ويرى الأبخرة تتصاعد لتملأ فضاء الغرفة ...

صرخ صرخة أخيرة قبل أن يذوب وجهه نهائيًا ....

« بعينين نصف مغمضتين

« فى بورتوفينو

« أستعيد صورتك .. »

- 5 -

كنت على الأرض وقد توقف عقلى عن العمل تمامًا ، وعلى الأرجح كان قلبى فى ذات الطريق ، ورفعت رأسى لأعلى لأرى ذلك الشىء المريع ..

لقد كانت الأسطورة حقيقية تمامًا .. هؤلاء لم يكونوا بشرًا ولا أثرياء يريدون حفلاً خاصًا ..

لقد وضعت نفسى فى ورطة لأن المخرج الوحيد من هنا هو الباب ، والباب يسده هذا الشىء .. هذا الشىء المريع .. هذا الشىء المحترق المتفحم ...

ماذا يفعلون بمن يقع فى أيديهم ؟.. الأشباح على قدر علمى تكتفى بإثارة الرعب لكن هل هذا شبح ؟.. إنه شىء عسير على التصنيف . ... أعتقد أن له وجودًا ماديًا لا بأس به وهو قادر على قتلى لو أراد ..

آلة العرض .. إنها على منصة دوارة .. ربما لو استطعت أن ..

هذا هو السلك الذى انتزعته .. القابس .. أعدت تثبيته فعاد صوت الهدير يدوى ..

مددت يدى حيث كنت على الأرض ولففت المنصة المتحركة بسرعة نحوه لتصوب العدسة على وجهه مباشرة .. إضاءة مركزة غاية فى السطوع أعمته على الفور .. وعلى جسده سقطت لقطات الفيلم كأنه شاشة عرض ..إنه بحاجة لأن يرى ..

تراجع إلى الخلف قليلاً .. أفسح لى ثغرة عند الباب فاندفعت جواره لكنى لم أبتعد ..

كان يقف هناك وهو يفتح مخالبه .. يفتح كفه المحترقة عازمًا على الإمساك بى ..

هنا سمعت من يصيح :

- « ابتعد يا رفعت ! »

وهوت ماجى برافعة سيارتها (الكوريك) على رأس هذا الشىء وهى تضغط على أسنانها فتهاوى أرضًا .. رفعت الكوريك وهوت مرة أخرى ...

ثم صاحت بى كأنها هى الرجل وأنا الأنثى المذعورة :

- « غادر دار السينما حالاً ..! »

أصابنى الغيظ .. لست عاجزًا لهذا الحد .. لن تدافع عنى امرأة نحيلة شفافة ..

هناك كان الباقون قادمين نحونا من أسفل .. نفس المنظر المروع المشوه .. نفس المشية المترنحة التى تذكرك بالزومبى فى أفلام (روميرو) .. كانوا ثلاثة أعتقد أن اثنين منهم كانا طفلين أو يرمزان لطفلين ..

قلت لها وأنا أخرج قداحتى :

ـ « لحظة ... »

وهرعت إلى مقصورة العرض فانتزعت البكرة العملاقة الموضوعة على الأرض .. بكرة لن تعرض طبعًا وهى محفوظة فى علبة أسطوانية تناسب حجمها .. فتحت العلبة فبدأت تحاول الفرار من سجنها كأنها ثعبان حبيس ...

أشعلت طرف الفيلم بالقداحة فتعالت النار الصفراء الشريرة اللزجة المميزة لاحتراق السليلويد ، ثم قذفت البكرة على هذه المخلوقات ...

تحرر الفيلم وهو يحترق ، وبدأ يذوب .. لكنه واصل التدحرج نحو المسوخ ، وعلى الفور التصق بهم ليقعوا فى ورطة حقيقية .. فيلم ذائب يشتعل .. ليس هناك إلا من اشتبكت قدماه أو ذراعاه به ..

إن الأفلام المحترقة وسيلة موت شنيعة جدًا يعرفها المصورون وعمال العرض ، ولا تختلف كثيرًا عن النابالم ، وقد قضى

(إديسون) ردحًا كبيرًا من حياته يحاول الوصول لفيلم لا يحترق بهذه السهولة والوحشية الفاجرة ، لكنه لم يجد ..

لا أعرف إن كان لهذه المسوخ جسد مادى يحترق .. لكنى أعرف جيدًا أنها تمقت النار ... النار التى حرمتها الراحة الأبدية ..

هنا فقط صار من الممكن أن نفر .. إن المخرج فى أعلى الدرج لحسن الحظ ..

دوى صوت صفارة إنذار .. واضح أنه جهاز إنذار ضد الحرائق ..

هكذا هرعنا ننزل إلى الطابق السفلى ، ووثبنا خارجين من النافذة المفتوحة ، وكانت سيارة ماجى قريبة فركبنا فيها ..

هنا فقط استطعت أن أشهق بعمق وأن أدرك أن قلبى لا يدق ثلاث ضربات متماثلة .. كل ضربة لها نغمة وحكاية مختلفة ..

ـ « أعتقد أننى موشك على الإصابة بنوبة قلبية .. »

قالت وهى تدور بالسيارة للخلف لتعطى نفسها مساحة للانطلاق :

ـ « هذا ليس جديدًا .. أعرف أنك تصاب بعشر نوبات قلبية يوميًا .. »

ـ « هـذه .. قويـة .. فعـلاً ... لقد بذلت جهدًا لـم أبذلـه منذ عشرين عامًا .. »

ثم تحسست صدرى .. وهمست وأنـا أشعر بصعوبـة تنفس لا شك فيها :

ـ « أعتقد أن علينا الذهاب ...... للمستشفى .. »

لم تتكلم .. فقط زادت سرعة السيارة للحـد الأقصـى ، وراحت تنهب الطرقات نهبًا .. المعصـرة العملاقـة الشـهيرة تنطبق علـى صدرى .. آى !

قالت وهى تندفع بسرعة عبر الشوارع الخالية :

ـ « لم تأت المطافئ .. هل لاحظت هذا ؟.. »

كنا سنسمعها بالطبع بوضوح فى هذه الطرقات الخالية المظلمة .

ـ « وما .. معنى هذا ؟ »

ـ « لا أدرى .. هل أنت على ما يرام ؟ »

لـم أرد .. لأنـى فعـلاً كنـت علـى الحـدود الفاصلـة بين عالمنـا والعالم الآخر .. كنت أقف على حافة الحدود ... ثم أتراجع لأقف فى عالمنا .. العرق البارد .. أنا أمقت العرق البارد فهو يشعرنى بأننى لست على ما يـرام . الأسوأ هو أننـى أقترب مـن الحـدود

فتخـرج أيـد محترقـة ذات مخـالب تمسك بـى وتحـاول جـرى .. أتراجع . وأقاوم ..

إنهم هناك .. وهم يطالبون بى .. رائحة الشياط .. اللحم المحترق ..

ثـم شـعرت بالقنـاع يوضـع علـى وجهـى ومـن ينصحنـى بـأن أتنفس بعمـق ، وشـعرت بمحلـول مـا يذوب فـى دمـى .. صـوت المرقاب (توت توت توت) .. أقطاب على صدرى ...

ـ « هل تسمعنى ؟.. هل أنت مصاب بالسكرى أو أية أمـراض مزمنة ؟ »

ـ « كل شىء ما عدا السكرى .. لا تقلق .. سوف أعيش .. »

كنت أستعيد وعيى ، ووسط الضباب أرى وجـه (مـاجى) ترمقنى .. لم تكن قلقـة أو باكيـة .. كانت جادة صارمـة جدًا .. لا وقت للقلق .. إنها عملية جـدًا تعرف متـى تبكـى ومتـى يكـون البكاء مضيعة للوقت .. كانت تكلم الأطباء بحزم كأنها تصدر لهم الأوامر .. تشرح حالتى الصحية وتفسر كلّ شىء .. تصلـح مـن وضع رأسى والوسادة تحته .. تجفف قطرات عرقى ..

قلت لها أخيرًا :

ـ « أنا بخير .. فعلاً .. »

قالت وهى تمسك بيدى المغضنة وتلصقها بشفتيها:

- « هل تقول هذا لتريحنى فقط ؟ »

- « بالعكس .. هذا لا شىء .. مجرد مطاردة فى دار سينما خالية مع جثث محترقة ، والوثب فى سيارة .. يا للملل !.. هذه تفاهات بالنسبة لما قمت به فى حياتى .. »

نظرت لى طويلاً وهمست وهى تعتصر يدى :

- « للأبد ؟ »

- « ماذا ؟ »

- « هل ستظل تحبنى للأبد ؟ »

قلت فى لهفة :

- « وحتى تحترق النجوم .. وحتى .... »

هنا هتف طبيب أسكتلندى ملتح :

- « كفى عن إرهاقه .. إن ما يريده هو الصمت !! »

منذ البداية كانت عنيدة ولم تشأ أن تتركنى أدخل السينما وحدى .. لقد راقبت الطريقة التى دخلت السينما بها ، ثم تسللت بعدى ببضع دقائق وهى تحمل رافعة السيارة كسلاح مرتجل ،

لتجد أننى فى المقصورة أحاول الفرار من هذا المسخ .. لم تسأل كثيرًا ولم تصب بالهستيريا ..

لا أنكر أنها أفادتنى كثيرًا .. حتى لو لم تبعد عنى ذلك المسخ ، فما كنت لأقدر على بلوغ المستشفى وحدى .. كان المارة سيجدون جثة صلعاء نحيلة مصابة بنوبة قلبية على الإفريز فى الصباح .. أما ما حدث فى داخل السينما فعلمه عند الله وحده .. أعتقد أن المسوخ ستحدث حريقًا لا بأس به وهى تحاول التملص من الفيلم المحترق ..

عندما عدنا إلى القصر فى الصباح ، كنا نعرف أن علينا قراءة قصص (جوناثان دارتمور) بعمق أكبر ..

ازداد هذا اليقين عندما عرفنا عبر الهاتف أن (أنتونى كارلستون) احترق فى فراشه .. احترق بالحمض...

جواره على الفراش وجدتْ زوجته الجديدة روسية الأصل حرقًا مروعًا اخترق الحشايا حتى بلغ الأرضية ذاتها ..

هذا الحرق كان يشبه جسد إنسان ...

يوم الأشجار

بقلم (جوناثان دارتمور)[*]

(*) نشرت للمرة الأولى فى مجلة (دارك سايد) فى فبراير .

الثامن من مايو ...

(جين) لم تحب قط هذه الرحلة ..

منذ البداية كانت تشعر بتلك الكهرباء السلبية فى داخلها .. هذا القنوط والإحباط الذى ينتابك فى بدية يوم فتعرف أنه الأسوأ ..

لكن زوجها كان متحمسًا .. لقد قام بهذه الرحلة من قبل فى شبابه ، وهو كان مصابًا بداء الأزواج السقيم .. ما دام الشىء راق له فلابد أن تجربه زوجته ثم لابد أن يجربه أولاده .. لاتكتمل سعادته إلا بهذا ..

الطريق إلى ألاباما بالسيارة .. رحلة طويلة جدًا عبر الصحراء تحتاج إلى عشر ساعات من القيادة . لم تحب هذا قط وبدت لها الصحراء موحشة قاسية تكشر عن أنيابها متأهبة للافتراس ..

كان هو متحمسًا وهى كانت تحبه فعلاً .. لا داعى لإفساد كل شىء ..

صوت (نات كنج كول) يخرج من المذياع .. هذا شىء آخر لا تطيقه هو ولع زوجها بالأغانى القديمة .. ثم إنه يقود ببطء شديد ..

ـ « كل من انقلبت سياراتهم كانوا يحسبون أنهم بارعون .. »

هذا ما كان يقوله وكانت تفضل الصمت ..

ترقب الأضواء تركض على جانب الطريق ، أو أضواء شاحنة قادمة فى الاتجاه المعاكس .. أضواء ساطعة تنسكب على الزجاج الأمامى وتحرق العينين ، كأنها نهاية الكون ..

قالت وجفناها أثقل من طن :

ـ « هل .. هل تنوى أن تقود طيلة الليل ؟ »

قال فى حماس وهو يشعل لفافة تبغ :

ـ « أعتبرها تجربة فى التحمل .. ثم هذا يتيح لنا أن نلحق بالنهار من بدايته فى ذلك الفندق .. لا تقلقى على ونامى .. أنا أحفظ هذا الطريق .. نامى .. نامى .. »

قالت فى قلق :

ـ « هل تحفظ هذا الطريق منذ عشرين عامًا ؟ »

ـ « هذه هى الحقيقة .. على كل حال معنا خارطة .. »

أرجعت رأسها للخلف وأراحته على مسند المقعد .. ثم أرجعت المقعد ذاته للخلف .. هكذا غاصت فى نعاس عميق تصحو منه فزعة كل عشر دقائق .. تنظر حولها وتطرف بجفنيها وتتساءل : أين أنا ؟.. ثم تعاود النوم ..

هى الآن طفلة صغيرة تلعب فى الفناء الخلفى للدار .. هناك قطة تحاول اصطياد هذه البطة .. لكن البطة تستدير وتوجه نقرات عنيفة جدًا .. أصدرت القطة مواء مروعًا وركضت بينما البطة لا تكف عن ملاحقتها .. هذه أمها واقفة .. كبيرة جميلة تعلق الغسيل على الحبال فى الشمس ..

هى الآن مراهقة تتدرب على تشجيع الفريق فى المدرسة الثانوية .. إن المدير سوف ....

إى ى ى ى ى ى !

هنا فتحت عينها لتجد أن السيارة تخرج عن الطريق ، وزوجها يحاول السيطرة على عجلة القيادة لكن السيارة لا وزن لها ..

إنه النهار .. الضوء يغمر كل شىء .. لهذا حلمت بالشمس إذن .. لكنها آخر شمس تراها ما لم ..

أخيرًا همدت السيارة .. وقفت كالتنين الجريح الذى يتصاعد منه الدخان إلى جانب الطريق .. أنفها يسيل منه الدم .. ما السبب ؟.. لابد أن أنفها اصطدم بالتابلوه لحظة اضطراب عجلة القيادة ..

زوجها يلهث بلا انقطاع ثم يسألها :

- « أنت بخير ؟ »

تحسست أنفها وقررت أنه لم يتحطم :

- « لا بأس .. ماذا حدث ؟ »

- « انفجر الإطار وكنت قد زدت السرعة قليلاً بسبب الملل .. لقد كدنا نلقى حتفنا .. »

ثم فتح الباب واتجه إلى حقيبة السيارة ليخرج الإطار الاحتياطى ، ورافعة السيارة .. ألقاه على الأرض ثم هتف فى رعب :

- « مثقوب !.. نسيت أن أغيره ! »

عظيم .. ما كنت أخشاه قد حدث .. سيارة معطلة فى الصحراء .. طريق لا تمر فيه أية سيارات منذ الخليقة .. لا يوجد جهاز هاتف واحد(*) ..

سوف يجد الناس عظامنا اللامعة الصقيلة يومًا ما ..

قالت له فى غيظ وهى تضع المنديل على أنفها :

(*) لا توجد هواتف محمولة فى زمن القصة طبعًا .. ولو وجدت لتلفت كما هى العادة !

- « هل يجب أن تمشى على إطار ؟.. يمكنك المشى على (الجنط) .. »

- « سوف يلتوى ويتلف بعد مائتى متر ونتوقف ثانية .. هذه المرة للأبد .. »

- « والحل ؟ »

حك رأسه قليلاً ثم اتجه للتابلوه وفتح الخارطة .. راح يحسب الاتجاهات وسرعة السيارة ، وقدر بالتقريب موضعهما عليها .. فى النهاية قال :

- « هناك بلدة اسمها (أربورفيل) قريبة من هنا .. الغريب أنها ليست على الطريق الرئيس بل هى متوغلة للداخل قليلاً .. لو كان فهمى لمقاييس الرسم صحيحًا فهى على بعد نصف كيلومتر .. يمكننا أن نمشى لها ، ولكن ليكن ذلك بسرعة قبل أن تصير الشمس عمودية .. »

لم يكن أمامها خيار ، هكذا حملت حقيبة صغيرة فيها الأشياء القليلة الثمينة وتركت الباقى فى السيارة وسرعان ما لحقت بزوجها ..

كان يتقدمها بمسافة لا بأس بها ، وضايقها أنه لم يعرض أخذ الحقيبة منها ..

هكذا مشيا على الطريق الأسفلتى بحثًا عن تلك المدينة الغريبة ..

كانت قد رأت الكثير من أفلام الطرق السريعة هذه .. سوف يجدون قرية فيها شريف مجنون وأهلها يعبدون الشيطان أو يأكلون لحم البشر .. ربما هم على حالهم من ما قبل التاريخ .. ربما هم كائنات فضائية .. المهم أنهم مرعبون ...

آخر شىء تتوقعه أن تجد قرية أهلها طيبون يخافون الله ، ولديهم ميكانيكى بشوش يعود بهم بسيارته ليصلح إطار السيارة ..

هناك مصيبة قادمة .. لا شك فى هذا ...

* * *

ـ « هذه هى ! »

قالها زوجها بعد دهر ..

على عكس ما توقعت كانت هناك بلدة جميلة فعلاً .. حولها حزام من الأشجار المعتنى بها ، وهناك لافتة تقول (أربور فيل بسكانها الألف الذين يخشون الرب مرحبًا بكم) ..

كما كانت هناك لافتة أجمل تقول (مطعم) ...

تذكرت أن معدتها تهضم نفسها وأن هذا وقت الإفطار بلا زيادة أو نقصان .. لقد كف أنفها عن النزف لكن معدتها بدأت تصرخ ..

نزل زوجها إلى المنحدر الصغير الذى يقود لمدخل القرية بين صفين من أشجار البلوط .. لا شك فى أنها أشجار زرعت عمدًا هنا ؛ لأن المناخ لا يسمح بنموها ..

هذا هو الشارع الرئيس ببيوته الخشبية المتناسقة على الجانبين .. هناك محطة بنزين وكافتيريا صغيرة .. جوار المحطة ورشة ميكانيكى ..

لكن كم الساعة الآن ؟.. التاسعة صباحًا .. كل شىء مغلق .. هؤلاء القوم لا يمتازون بالنشاط .. اتجه إلى ورشة الميكانيكا ودق الباب .. فى كياسة .. فى إصرار .. ثم فى حماسة .. ثم فى جنون ..

لا أحد ...

اتجهت إلى الكافتيريا .. كانت مفتوحة .. بالداخل مناضد وكاونتر وآلة حسابات .. لكن لا يوجد أحد .. نادت بأعلى صوتها مرارًا :

ـ « هيييييه ! »

لكن لم يرد أحد ..

بعد نصف ساعة كانا قد قرعا كل باب وناديا فى كل مكان ..

فعلاً لا يوجد أحد فى هذه البلدة ، وبرغم هذا هى ليست مهجورة .. كل شىء طازج .. الكعك فى الكافتيريا تحت الناقوس الزجاجى طازج .. الأماكن نظيفة ولا يوجد نسيج عنكبوت أو غبار .

لقد ترك الجميع البلدة اليوم .. لسبب ما ..

لكن لابد من عمل شىء ..

قال زوجها وهو يضع يديه فى خصره :

ـ « ربما أقتحم الورشة وأبحث عن إطار ، لكن الأمر ليس بهذه السهولة .. لابد من خبرة حرفية .. »

ـ « إذن نبحث عن هاتف .. سنطلب النجدة .. »

كان هناك هاتف عمومى بالعملات خارج الكافتريا . جوار شجرة باسقة جميلة المنظر .. اتجه الزوج إلى هناك ورفع السماعة .. ظل ينصت ثم دس قطعة العملة وبدأ يطلب رقمًا ..

استدارت هى ترمق الشارع الخالى ..

هناك نافذة يتحرك مصراعها هناك .. فلتمش نحوها لترى إن كان خلفها أحد ..

مشت ببطء وتؤدة .. نظرت عبر النافذة فلم تر أحدًا بالداخل ..

استدارت نحو زوجها كى تقول شيئًا هو .....

هنا وجدت مشهدًا لا يصدق .. كان على الأرض يتلوى ألمًا .. والسماعة تتدلى من الهاتف ، لكن أغرب ما فى الأمر أن غصن الشجرة كان منحنيًا كثعبان كبير يحاول الظفر به .. ركضت لترى المنظر أفضل فأدركت فى جذع أن الغصن له طرف مدبب وهذا الطرف المدبب يقطر دمًا ..

ـ « هل رأيت ما حدث ؟ »

قالها زوجها وهو يمسك بعنقه .. ثم رفع يده فرأت ثقبًا صغيرًا أحمر ينزف ..

قالت فى ذهول :

ـ « أنا مجنونة .. أنا مريضة نفسيًا .. لكن لا تقل لى من فضلك إن هذا الغصن هاجمك وحاول أن يمتص الدم من أوردة عنقك ! »

ـ « هذا هو ما حدث بالضبط .. »

ـ « أنت إذن تهذى مثلى .. لقد جننا بسبب الظمأ والشمس . »

ـ « لكننا لم نمض أكثر من نصف ساعة فى العراء . »

ساعدته على النهوض وهى ترمق الشجرة .. بدا مظهرها بريئًا جدًا ومسالمًا وهى تقف كأية شجرة أخرى .. نحن جننا .. هذا مؤكد ..

- « هل الهاتف يعمل ؟ »

- « لا .. ماذا تتوقعين ؟ »

مشيا نحو الكافتيريا .. ثمة شعور معين جعلهما يعرفان أن بوسعهما أخذ ما يريدان .. هذا يشبه أحلام أن يخلو العالم من البشر ويصير كل شيء ملكًا لك ..

أخرجت بعض الكعك ، ثم اتجهت لثلاجة المشروبات فأخرجت الكثير من زجاجات العصير .. وكانت تعرف كيف تعد القهوة بتلك الأداة الغريبة الخاصة بالكافتيريات .. لذا بدأت تعد بعضها ..

خلفها كان التقويم الذى يعلقه الساقى وراء ظهره .. هناك دائرة حمراء حول يوم 8 مايو .. ما معنى هذا ؟.. هل هو عيد قومى ؟.. هل يشبه الأعياد القديمة للهالوين عندما كان سكان الشمال يتركون بيوتهم لأرواح الموتى ويقضون الليلة فى العراء ؟

بحث زوجها عن منديل وضعه على الجرح ، ثم قال:

- « كل هذا غريب مريب .. »

- « الأشجار التى تهاجم البشر ليست نباتًا معتادًا فى الولايات .. »

قال وهو يرشف القهوة :

- « ربما هى هلوسة جماعية كما تصورت .. المشكلة الوحيدة هى أن الهلاوس لا تترك ثقوبًا فى العنق .. »

فكرت كثيرًا ، ثم قالت:

- « هل رأيت كنيسة هنا ؟ »

- « لم أر .. لكن هناك واحدة بالتأكيد ... »

- « هناك خطر يحيق بالبلدة .. وهذا الخطر موعده اليوم .. أراهن على أن هؤلاء القوم تركوا المدينة واحتشدوا فى الكنيسة حتى يمر اليوم .. كذا القصة دومًا .. »

هكذا قررا أن يبحثا عن الكنيسة .. طبعًا سيكون القوم مجتمعين فى قبوها خائفين ، يحاولون تمضية هذه الساعات المخيفة ..

مشيا وسط شوارع المدينة الخالية ..

أشجار على جانبى الطريق .. منازل يبدو أنها خالية أو أن من فيها يتظاهر بالموت ..

هناك مدرسة صغيرة .. الباب مفتوح .. هكذا دخلا يبحثان عن شىء أو دليل .. ردهات فارغة .. فصول لا أحد فيها .. شعور غريب فعلاً ..

قالت له :

- « من المؤكد أنه لا يوجد أحد .. »

ثم نظرت إلى اللوحات المعلقة فى الردهة .. لوحات تمثل أعمال التلاميذ الفنية كعادة المدارس .. هناك شىء غريب ..

كل اللوحات فيها أشجار .. كل اللوحات فيها أشجار تمتص دم الناس . رسوم ساذجة كرسوم رجل الكهف لكنها واضحة .. وهناك لوحة تحمل فى عنوان كبير التاريخ (8 مايو) ثم عبارة (يوم الأشجار) ...

استدارت لزوجها ، وقالت بلهجة انتصار :

- « الثامن من مايو .. اليوم !.. هذا عيد عندهم كما توقعت فعلاً .. لكن اسمه (يوم الأشجار) .. هل هو نوع من حملات الحفاظ على البيئة أو التشجير ؟ »

- « هل هذا يدفع الناس للاختفاء ؟ »

ثم ضرب رأسه كمن تذكر شيئًا ، وهتف :

- « (أربور فيل) .. نحن ننسى اللاتينية .. معناها (مدينة الأشجار) .. (أربور) معناها شجرة .. يبدو أن الأشجار تلعب دورًا مهمًا جدًا هنا .. »

غادرا المدرسة متوترين .. راحا ينظران إلى الأشجار المتراصة على جانبى الطريق . قررت أن تجرب .. اتجهت إلى شجرة منها واستندت عليها .. انتظرت قليلاً .. بعد لحظة سمعت زوجها يصرخ :

- « ابتعدى ! »

ركضت لتلحق به واستدارت لترى غصون الشجرة وقد دبت فيها الحياة .. هى ممصات تحاول الوصول لها بلا توقف .. مشهد لا يمكن وصفه أو التعبير عنه ..

وقفت جواره تلهث .. وهمست من بين أنفاسها المتلاحقة :

- « يوم الأشجار .. هذا هو اليوم الذى تمتص فيه الأشجار دماء الناس .. ولهذا يغادرون البلدة فى ذلك اليوم من كل عام .. ونحن اخترنا هذا اليوم لندخل البلدة .. »

لم يرد .. فقط أمسك بيدها بحزم ، واتجه نحو المخرج .. الشارع الذى دخلا منه والذى يمر جوار محطة الوقود ..

هنا تصلب وتصلبت ..

لقد سد الطريق .. لم يعد هناك شارع .. هناك نطاق كثيف من الأشجار يسد الطريق .. ونظر لها ونظرت له .. الأمر واضح ..

هذه الأشجار لا تمتص الدم فقط ، بل هى تتحرك .. تنزع نفسها من جذورها وتحاصر وتلاحق ...

قال لها :

ـ « نحن نهذى .. لا شك فى هذا .. اسمعى . سوف ندور من حولها .. »

ـ « لكن كيف ؟ »

ـ « لا تتكلمى كثيرًا وتعالى معى .. »

وانطلق يركض وهى تلحق به ، واخترق محطة البنزين .. كان هناك مخرج خلفى ضيق لابد أنه يقود إلى خارج البلدة ..

لا تعرف متى ولا كيف سقط زوجها على الأرض .. لقد تلقى ضربة قوية على رأسه .. وعندما بحثت عن صاحب الضربة وجدته رجلاً ضخم الجثة يلبس مثل الميكانيكى ، ويحمل مفتاحًا آليًا فى يده ..

نظر لها الرجل وهو يلهث ، وقال :

ـ « يوم الأشجار .. معناه أنه لابد من تقديم البعض للأشجار كى تتركنا نحن .. كنا نبحث عن أحمق لكنكما جئتما بكامل إرادتكما ! »

صرخت واستدارت للخلف ، لكنها رأت خمسة من أهالى البلدة يحيطون بها ، وهم يضحكون فى توحش .. وقال أحدهم فى لهجة مهذبة غريبة جدًا :

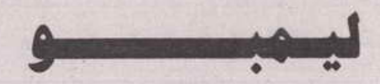
ـ « سامحينا .. منذ حلت اللعنة بالبلدة ونحن مضطرون لهذا ؛ كى نظل أحياء .. قولى إنك لن تحقدى علينا ! »

إنهم يمزحون .. لابد أنهم يمزحون !

ظلت تردد هذا بينما هم يجرونها جرًا إلى نطاق الأشجار .. الأشجار التى بدأت تصدر صوتًا كالفحيح ...

تمت

الجـــزء الثالث



- 1 -

قالت لى (ماجى) :

- « يمكن اختصار هذا الجهد بأن نزور (جوناثان) ونسأله »

قلت لها :

- « ليس قبل أن أفهم طريقة تفكيره .. »

كنا جالسين على الأرض وسط مجموعة لا بأس بها من قصص الرجل .. خمس مجموعات قصصية سميكة . إنه غزير الإنتاج للأسف يذكرنى بكاتبكم المعاصر (ستيفن كنج) . لكنى على كل حال تعلمت كيف أختصر الوقت فألقى نظرة عابرة على كل قصة لأعرف عما تتحدث بالضبط ..

كنت أدون فكرة كل قصة والكتاب الخاص بها ورقم الصفحة فى مفكرّة صغيرة ..

قالت (ماجى) وهى تطوح الكتاب الذى تمسك به :

- « اكتفيت .. اسمع يا (رفعت) .. نحن لن نصنع قصة رعب مكتملة من صدفة .. هذا الرجل كان يعرف شيئًا عن قصة (أنتونى) وقتله لزوجته ، وكان يعرف أسطورة دار السينما تلك .. »

ـ « يعرف تفاصيل لم يخبر بها (أنتونى) أحدًا ؟.. حتى صراخ زوجته فى اللحظة الأخيرة ؟.. يعرفها قبل أن تحدث ؟.. إن التواريخ لا تكذب .. »

قالت باسمة بتلك الطريقة التى تجعل عينيها تنغلقان تقريبًا :

ـ « لقد تعلمت أن الناس يفتقرون للدقة .. لا تنس إنى فيزيائية ، لهذا لا أغفر الإجابات البعيدة عن الحقيقة .. معظم الناس يقسمون لك إنهم لم يخبروا أحدًا ، ثم يتضح أنهم أخبروا اثنين فقط .. السر الذى يتجاوز اثنين يصير خبرًا علنيًا يمكن أن يذاع فى المذياع . أما عن أسطورة السينما فأنا ألاحظ أن صاحب السينما أخبرك بها مباشرة بلا لف أو دوران .. لابد أنه أخبر بها كل من سأله .. »

قلت لها فى حيرة :

ـ « ربما معك حق .. لكنى مصر على زيارة الرجل .. »

هذا أنا .. رفعت الأحمق الذى يصر على أن يعرف .. على أن يروى فضوله حتى لو كان ثمن هذا أن ينشغل عن ماجى الحسناء ...

ـ « للأبد ؟ »

ـ « ماذا ؟ »

ـ « هل ستظل تحبنى للأبد ؟ »

قلت فى صدق :

ـ « وحتى تحترق النجوم .. وحتى .... »

هنا سدت فمى بكفها ، وقالت :

ـ « كف عن الثرثرة ولنكمل قراءة هذه الكتب اللعينة .. »

* * *

بعد يوم واحد جاء الجراح إياه .. هل تذكر (نورمان هيرتفورد) جراح الأعصاب البارد الذى قابلته فى ذلك الحفل ؟ . كان يريد لقائى و(ماجى) ...

قالت لى لما سمعت بالخبر :

ـ « أنت صرت مهمًا جدًا ولا أعرف السبب .. إما أنه يمر بتجربة خارقة للطبيعة أو يعانى سرطان الدم ، أو هو معجب بصلعتك .. »

ـ « لو كنت تلمّحين إلى أننى أصلع فإننى أحتج بشدة .. »

وسيم جدًا وقور جدًا بارد جدًا ذلك الرجل .. حيث وقف هناك فى قاعة المعيشة يتفحص اللوحات الجدارية . لاحظت أنه فارع

القامة فعلاً فكأنـه (يوليوس قيصر) حقًا بهذه الوقفة المهيبة المسيطرة .. هكذا يجب أن يبدو الكهول .. كانت صورة تمثل (ماكبث) مع الساحرات الثلاث فى مشهد ما من المسرحية الشهيرة .. تحسس الدهان حول العينين وغمغم فى رضا ، ثم شعر بوجودنا ..

صافحنا بطريقته الراقية ، ثم جلس ..

قال موجهًا الكلام لى بالذات :

ـ « أعرف يا بروفسور (إسماعيل) إن لك اهتمامًا بالغًا بعالم ما وراء الطبيعة .. يجب أن أعترف لك أننى أجد هذا كله هراء وكلامًا فارغًا .. أعتذر عن تجاوزى طبعًا .. لكن .. »

قلت لأريحه :

ـ « نعم .. نعم .. أحيانًا يبدو لى الأمر كذلك .. صدقنى .. »

بدأ يحكى لنا مع الاحتفاظ بطابع (كل ـ هذا ـ هراء) المميز لكلامه ..

(مارى مكدونالد) مريضة من مرضاه ومصورة هاوية كانت مصابة بانضغاط فى عصب الرسغ منذ شهرين ، وقد عالجها لكنها لم تنقطع عن زيارته من حين لآخر ..

ـ « سيدة باسلة وأنا أثق بكلامها جدًا .. »

هذه السيدة الباسلة تعيش قرب المستنقعات عند أخدود (جلين) ، هى وابنتها الطفلة بعد طلاقها من زوجها . اعتادت أن تجوب المنطقة على دراجتها يوميًا ..

فى هذا اليوم طلبت الابنة أن تعلمها أمها التصوير الفوتوغرافى ، فأخذت معها الكاميرا ..

ثم حدث شىء غريب .. إنها تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن ابنتها توغلت ذلك اليوم فى المستنقع .. هذا لا شىء ولا يثير القلق ، لأن السيدة وابنتها تحفظان كل شبر فى هذه المستنقعات .. يمكن لهما أن تمشيا مغمضتى العينين ..

لكنها سمعت صراخًا مروعًا .. كاد شعر رأسها يشيب .. هذا صوت ابنتها بلا شك ..

ركضت مذعورة عبر المستنقعات .. لحسن الحظ لم يكن الظلام قد حل ، لكن الضباب يجعل الحركة عسيرة فعلاً ...

الفتاة تصرخ بلا انقطاع .. ماذا حدث ؟

أخيرًا رأت ابنتها سالمة ، لكنها ليست فى مأمن ..

هناك من المستنقع شىء مريع يزحف محاولاً بلوغ الفتاة .. شىء يبدو كبشرى .. ربما بشرى لكنه منتفخ مسود مغطى بالطحالب .. يمد يديه المخلبيتين نحو الفتاة التى وقفت تستند إلى شجرة وتعوى .. تحاول أن تحشر جسمها الصغير داخل جذع الشجرة ...

كان يحاول الخروج .. لكن المستنقع كان زلقًا ..

هنا رأت (مارى) مخلوقًا آخر يبرز من البحيرة .. يحاول الوصول إلى ذات الهدف .. هذا المخلوق يبدو كامرأة متحللة ..

تصلب شعرها ذعرًا وقد بدأت تفهم : هؤلاء هم غرقى المستنقع !.. إنهم يعودون !

صرخت فى ابنتها :

- « لا تتحركى ! »

والتقطت جذع شجرة غليظًا ووثبت لتقف جوار الطفلة المذعورة ، ثم هوت بأعنف قوتها على رأس ذلك الشىء المخيف اللزج الذى يحاول الخروج ... بالتأكيد تهشم .. هى ليست قوية لكن عندما يتعلق الأمر بابنتها فلسوف تحطم عشرة رءوس ..

ثمة شىء جديد يحاول الخروج . إنها ثلاثة مسوخ .. وابنتها تصرخ ...

ضربتها على خدها فيما يشبه الصفعة .. ثم طلبت منها أغرب طلب فى العالم يمكن تصوره :

- « صوبى الكاميرا والتقطى صور كل هذا ..!.. هيا !! »

* * *

كليك .. كليك .. كليك ..

بدا كأن الفتاة تفرغ خوفها وعصبيتها عن طريق الضغط على الغالق بلا توقف .. كأنها وجدت الحل الوحيد حتى لا تجن ..

أما هى فقد راحت تهوى على الرءوس .. بلا هوادة ... تحطم .. تحطم ..

ثم شعرت بيد قوية تطبق على كاحلها .. يد تجرها إلى الوحل جرًا ... سقطت تحت الماء وانقطع صراخ ابنتها .. تحرر كاحلها لكنها استطاعت أن تتحسس حزامها .. هناك توجد سكين الجيش السويسرى التى تعتز بها .. أخرجتها وفتحتها وهى توشك على الاختناق .. إن ما يدخل أنفها ليس هواء .. ليس ماء .. إنه وحل !!

أولجت السكين حتى المقبض فى ذلك الشىء ثم أخرجتها وغرستها وأخرجتها وغرستها .. كيف يموت هذا الشىء وهو

ميت أصلاً ؟.. ربما كان جل ما تفعله هو إفقاده تلاحمه التشريحى ..

بدا أنه ضعف قليلاً فتحاملت على نفسها .. سبحت حتى خرجت من الأوحال وقد صارت تشبههم فعلاً ، حتى إن ابنتها أطلقت صرخة هائلة عندما رأتها .. مسحت الوحل عن عينيها لترى أفضل ، واحتضنتها غير مبالية بالوحل ، وصاحت :

ـ « أنا أمك يا بلهاء .. أمك .. »

ثم جرتها من ذراعها بقسوة تحاول الفرار من هذا المكان الشنيع ..

لابد أنها ركضت كما لم تفعل طيلة حياتها .. كانت تعب الهواء فى جشع .. أما الطفلة فصارت مؤهلة لأن تدخل فورًا أى قسم لعلاج الصدمات فى أى مركز نفسى ..

الدراجة .. يجب ألا تضعف ..

وأخيرًا كانت تشق الطريق نحو دارها وهى ترتجف وتبكى ..

أخذت حمامًا ثم كان أول شىء فعلته هو أن اتصلت بستوديو التصوير طالبة أن يرسلوا لها من يأخذ الفيلم ليحمضه .

يجب أن ترى ما هناك .. يجب أن تتأكد من أنها لم تخرّف ..

ومد د . (نورمان) يده فى جيب سترته التويد الأنيقة وأخرج مظروفًا ناوله لى ..

كان مليئًا بالصور .. وفى حركة أنيقة أخرجت ثلاث أو أربع صور ناولتها لماجى ، ثم تأملت الصور الباقية ...

يبدو لى الأمر كأنها لقطات من فيلم رعب .. ربما (مخلوق البحيرة) أو شىء من هذا القبيل .. فعلاً هناك مسوخ أقرب إلى جثث متعفنة منتفخة تطل بجذوعها من الوحل .. هناك بقع وحل على العدسة .. فوضى عامة ...

من الممكن جدًا أن يتم تلفيق هذه الصور .. لا مشكلة ..

قال د . (نورمان) فى وقار :

ـ « أعرف ما تفكران فيه .. فقط هناك شىء واحد أعرفه .. هذه السيدة وقور لا تبغى الشهرة ، وعندما طلبت رأيى كانت تطلب الكتمان كذلك .. »

وأردف بعد لحظة تفكير :

ـ « برغم كل منطقى العلمى ، لا أستطيع سوى القول إن هذه الصور حقيقية .. هذه القصة حقيقية كذلك .. يجب أن نبدأ من حقيقة علمية ثابتة وصلبة هى أن هذا حدث فعلاً ! »

– 2 –

سألته ماجى وهى تتفحص الصور بدقة :

ـ « هل تكررت هذه الهجمة مع شخص آخر ؟ »

ـ « على قدر علمى : لا .. ربما لأنه لا يجرؤ أحد على التوغل فى المستنقع سوى من عرفه كظهر يده .. من نشأ منذ طفولته جواره .. فيما عدا هذا أنت تخاطر بأن تضيع للأبد .. »

هنا سألته أنا فى حذر :

ـ « لا أعتقد أن هذا سبب الزيارة الوحيد .. هناك نقطة أخرى تحيرك .. أليس كذلك ؟ »

نظر لى فى حذر مماثل ، وقال :

ـ « بلى .. »

ـ « أنت قرأت هذا المشهد فى قصة رعب قصيرة .. أليس كذلك ؟ »

ـ « بلى .. »

ـ « وكاتب القصة هو صديقكم (جوناثان دارتمور) ... أليس كذلك ؟ »

ابتسم فى حرارة .. واسترخى فى جلسته وقال :

ـ « أنت تعرف كثيرًا جدًا . فعلاً .. لقد تذكرت القصة على الفور .. فى القصة رجل ميت يعود من المستنقع مع الغرقى الآخرين .. هناك مخرج كان يعتبر هذا ماكياجًا عبقريًا ثم تبين أنه حقيقى تمامًا .. قصة سخيفة فى رأيى لكن عندما تحدث فى الواقع .... »

ـ « وأنت تتوقع أن تجد عندى تفسيرًا علميًا ؟ »

ـ « أنا فكرت فى عدة تفسيرات .. الاحتمال الأول أن السيدة قرأت القصة وقررت أن تطبقها فى الواقع .. »

ـ « وهذا احتمال بعيد لأنها سيدة رزينة تعرفها أنت جيدًا .. »

ـ « الاحتمال الثانى أن الأسطورة حقيقية وقديمة ، وكل ما قام به (جوناثان) هو أن صاغها على الورق .. كأنك تكتب قصة عن مصاصى الدماء ، وبعد هذا يقابل أحدهم مصاص دماء فيشعر أن لك دورًا فى الأمر .. »

ـ « والاحتمال الثالث ؟ »

ضاقت عيناه أكثر ، وقال وهو يضغط على حروف كلماته :

ـ « الاحتمال الثالث هو أن ما يكتبه (جوناثان دارتمور) يتحقق ! »

* * *

لم أنم ليلتها ..

قضيت الوقت مع (ماجى) نفرز تلك القصص القصيرة .. كان هناك سيل من الأفكار لا ينتهى حتى بدأت أعتقد أن الرجل مجنون .. على كل حال أمكننا أن نحصر التيمات كما يلى :

1 ـ أحدنا هو المذءوب . فمن هو ؟

2 ـ البيت المسكون : هذا نمط معروف من القصص .. البيت المسكون هو ببساطة مسكون.

3 ـ الجثث العائدة من المقابر / من المستنقع / من المحرقة / من المطبخ بعد طهيها.

4 ـ رجل يتخلص من إفرازاته فيجد لها حياة خاصة .. يع !.. أو كما تقول ماجى Phooey.

5 ـ الأشجار / البيوت / السجاجيد التى تدب فيها الحياة .

6 ـ هل أمك هى أمك حقًا ؟

7 ـ القاتل الذى تعود ضحيته لتنتقم.

8 ـ البلدة أو المكان الخالى لسبب مجهول (هذه تتكرر كثيرًا جدًا) .

9 ـ السينما المسكونة / آلة سحب الفيزا المسكونة / الثلاجة المسكونة التى تسحب الناس داخلها .

10 ـ استحضار روح خطأ .. غالبًا روح سفاح أو مجنون .

11 ـ ابنى هو الشيطان ..

12 ـ الجزار يبيع لحم بشر ونحن لا نعرف ..

13 ـ دعك طبعًا من موضوع مقاعد الطائرة الحية التى تلتهم مؤخرات الركاب ، فهذا مضحك أكثر منه مرعبًا ..

14 ـ الانكماش والهرب من القط الأليف .

15 ـ الدفن حيًا . هذه تيمة أهلكها إدجار آلان بو لكنها ما زالت مخيفة .

16 ـ الكيان المرعب المدفون منذ ملايين السنين حتى يوقظه أحد . طبعًا لو كان تحت الماء فنحن نقترب جدًا من كتولو وعوالم لافكرافت الرهيبة.

17 ـ شيطان وملاك فى عالمنا يبحثان عن بعضهما ويبدوان كالبشر .

18 ـ طبعًا تيمة نهاية العالم وعودة المسيح مهمة جدًا فى الأدب الغربى ويطلقون عليها مصطلح Eschploitation.

19 ـ آسف .. إن النعاس يغلبنى ...

رفعت رأسى فوجدت أن (ماجى) نامت فعلاً .. يمامة صغيرة متكومة على نفسها على الأرض جوار الأريكة .. مسكينة .. لكن من المؤكد أننى لن أحملها مثل أبطال الأفلام لأضعها فى فراشها ، فهى ثقيلة كالخرتيت .. أو هى كذلك بالنسبة لحالة قلبي . هكذا رحت أهزها بعنف حتى فتحت عينيها مذعورة ، فطلبت منها أن تدخل لتنام .. أنا أيضًا سأذهب للنوم ..

همست بعينين مغمضتين وهى تمشى نحو الباب :

ـ « للأبد ؟ »

ـ « ماذا ؟ »

ـ « هل ستظل تحتاج لى للأبد ؟ »

قلت هامسًا :

ـ « وحتى تحترق النجوم .. وحتى ..... »

هنا صرخت لأن قدمها الحافية اصطدمت بجزء بارز من الأريكة ، وهكذا أفاقت نوعًا ..

تمنت لى ليلة سعيدة ثم ابتعدت مترنحة ..

حملت معى أحد الكتيبات وانتقيت قصة أقرؤها بالتفصيل قبل النوم ، بدلاً من طريقة التصفح السريع هذه ..

تأملت غلاف الكتاب فى فراشى ..

مجموعة قصصية اسمها (ليمبو) .. (ليمبو Limbo) هى منطقة فاصلة بين الجنة والنار فى العقيدة الكاثوليكية .. أو فى قول آخر هى مكان تنتظر فيه الأرواح التى لم تنل الخلاص ..

اخترت قصة طولها مناسب .. اسمها .. اسمها ...

بعد خمسين عامًا

بقلم (جوناثان دارتمور) [*]

(*) نشرت للمرة الأولى فى مجلة (ويرد ستوريز) .

(جورج وارين) رجل الأعمال الشهير الناجح يعرف جيدًا ما يشتريه ولماذا ..

كثيرون يطلقون عليه اسم (جورج الذى لا قلب له) ، لكنه لا يبالى بهذه الأمور ، بل يفخر بها إلى حد ما .. إنه أمريكى ، وهو يعرف أن قلب سر النجاح الأمريكى هو أن (تقتل جرحاك) .. بعبارة أخرى لا تتبن مشاريع خاسرة .. لا تترك عمالاً أو موظفين فاشلين بدعوى الشفقة ..

ابتاع (جورج) هذه البناية القديمة فى أحد أحياء (دالاس) .. بناية مهجورة خربة لا تصلح لشىء سوى هدمها ، لكنه كان يعرف أنه سيبنى فى موضعها برجًا رائعا .. قطعة الأرض تبدو له ذات إمكانيات واعدة وموقعها ممتاز ..

اتفق مع شركة الهدم وعرف أن الإزالة ستتم غدًا ..

عندما جاء المساء مر بسيارته الفاخرة أمام البناية وراح ينظر لها شاعرًا بالقوة والسيطرة .. هذا العملاق الحجرى لن يكون هنا مساء غد بتعليمات منه .. إنه رجل مذهل فعلاً ..

لسبب لا يدريه ترجل من السيارة .. طلب من سائقه الخاص أن ينتظر ، ثم مشى نحو البناية المظلمة . وقف أمامها بعض الوقت ثم اجتاز المدخل ..

لم يكن هناك ضوء لذا أخرج كشافه الصغير الذى يحمله معه ، وسلط الضوء على الجدران .. كانت هناك شتائم بذيئة جدًا ورسوم أكثر بذاءة .. لا غرابة فى ذلك فقد كان هذا مأوى للمتسولين لفترة طويلة .. لابد أن زنوجًا كثيرين باتوا هنا ..

كان هناك رواق طويل يقود لسلم متداع ..

هناك شقق صغيرة على الجانبين .. شقق بائسة مكونة من غرفة وحمام فى الأغلب ، ومن الواضح أن الأسر التى أقامت هنا لم تمتز بالنظام أو النظافة ..

مشى لآخر الممر المظلم .. هناك درجات سلم ..

هبط فى حذر وهو يسلط الكشاف يمينًا ويسارًا .. هنا انزلقت قدمه ..

سقطة شنيعة فعلاً ، وهو لم يكن مرنًا رشيق الحركة . لكنه ذكى .. ولأنه ذكى قرر أن ساقه لن تتحطم .. لا يمكن أن يحدث هذا له ..

بالفعل كان له ما أراد ككل شىء فى حياته .. فقط وجد نفسه على الأرض المتسخة والفئران تركض مبتعدة ...

لم تكن الأرض مستريحة أو مستقرة من تحته .. هناك شىء غير طبيعى .. إنها تتحرك ..

نهض وتفحص الأرضية فأدرك أن هناك لوح خشب سميكًا مثبتًا بالمسامير للأرض . لو لم يسقط لما رآه وعلى الأرجح لم يره أحد من قبل لأن المكان ملىء بالقمامة .. لابد أن كل من أقام هنا لم يخطر له تفحص الأرضية ...

كان يحمل مطواة .. هذه عادة لم يتخلص منها قط .. ربما لأنها تذكره بطفولته فى الشارع ..

لكن المطواة مفيدة لانتزاع المسامير ، وقد فعل هذا .. أخيرًا انزاح اللوح ، ووجد تحت ناظره هوة مظلمة سحيقة .. رائحة عطنة لكنها محببة مثيرة ..

سلط الكشاف أكثر فرأى أن هناك درجات سلم تقود لأسفل ..

لا يعرف هل هو مجنون أم لا .. من الخطأ فعلاً أن ينزل وحده ودون أن يخبر أحدًا .. من قال إن هذا المكان لا يعج بالثعابين ؟.. لكن الرجل كان جريئًا فعلاً ولا قلب له ..

بدأ ينزل الدرجات وهو يسلط الكشاف فى كل اتجاه ..

هناك ممر متعرج يقود إلى ...

يقود إلى باب موصد مبطن بالجلد السميك الممزق .. فعلاً يبدو المنظر غير مألوف .. هذا ليس قبوًا .. ما هذا فعلاً ؟

فتح الباب ثم دخل وأخذ شهيقًا عميقًا ...

سلط الكشاف على المكان .. قاعة واسعة بالغة الاتساع .. هناك مناضد فى كل مكان .. هناك مقاعد مرتبة حول المناضد .. هناك زجاجات خمر فارغة .. هناك أوراق لعب ..

يوجد مسرح صغير مظلم .. هناك بيانو صغير عتيق .. ستائر ممزقة بفعل البلى .. خيوط عناكب فى كل مكان ... غبار ..

كل هذا غريب ...

إذن هذه البناية كان فيها ملهى .. ملهى سرى .. من الواضح إذن أنه كان يقدم الخمور ، وكان هذا فى حقبة تحريم الخمور فى الثلاثينات .. طبعًا المافيا كانت تسيطر على هذه التجارة تمامًا وتحقق منها أرباحًا طائلة ...

إذن يمكن تقدير عمر هذا المكان بخمسين عامًا ..

خمسون عامًا والمكان مغلق لم يدخله أحد .. خمسون عامًا والحياة تدور بالخارج لكن أحدًا لا يلاحظ ...

راح يمشى فى المكان منبهرًا .. شعور غريب فعلاً ..

على الفور بدأ ذهن التاجر يعمل .. هناك طبعًا مخزن خمور وهذه الخمور عمرها خمسون عامًا أى إنها ستجلب مبلغًا

محترمًا من المال . يجب أن ينقل هذا كله قبل هدم المكان .. هناك بار فى الركن وهناك زجاجة خمر مغلقة مغطاة بالغبار وخيوط العناكب .. مسحها جيدًا وفتحها وشمها .. ثم جرع منها جرعة سخية ... ممتاز .. سيصير ثريًا أكثر ...

راح يمشى بين الموائد .. ضوء الكشاف يتراقص هنا وهناك ..

لكن لماذا لم يخلوا المكان ؟.. لماذا لم يبيعوا كل شىء بعد انتهاء (البيزنس) ؟

كانت هناك حقيبة على مائدة .. مد يده فيها وأخرج بطاقة شخصية لامرأة :

هيلين أوزموند تكساس

وجه قديم جدير بأحد أفلام الثلاثينات الصامتة أو نصف الناطقة فعلاً .. الملامح الباهتة والعينان المتطلعتان للسماء والفم المرسوم بعناية ..

هناك كأس يبدو أنها كانت نصف مليئة على المنضدة .. كساها الغبار والعنكبوت لكنك ترى حافة السائل .. هناك ورق لعب .. يبدو أن هذا المكان كان يسمح بالقمار أيضًا .

فأر ركض مبتعدًا فأجفل ..

هذا المكان كان يعج بالحركة فى ليلة ما من الثلاثينات .. فماذا حدث ؟

هل هى (كبسة) من الشرطة ؟.. هذا وارد جدًا .. لكن لماذا لم يصادر رجال الشرطة أثاث المكان ؟

كل شىء يوحى بأن مغادرة المكان تمت على عجل .. على الأرجح قام آخر الفارين بوضع هذا اللوح والمسامير بالخارج ..

لماذا يترك الناس ملهى صاخبًا فجأة ؟

هل لأنهم علموا أن الشرطة قادمة ففروا جميعًا ؟.. ممكن .. لكن الشرطة لم تأت قطعًا .. فلماذا لم يعودوا ؟

صعد إلى خشبة المسرح ..

كان الخشب باليًا تمامًا ومتآكلاً .. لكنه استطاع أن يرى تلك الفجوة فى المنتصف .. فجوة عميقة مظلمة .. هل حدث انهيار ؟.. الراقصات كن يضربن الخشب بقوة بكعوبهن وفجأة تداعت وصنعت فجوة هائلة .. ربما ابتلعت بعضهن ؟

لكن الفجوة كانت مفتوحة لأعلى .. الخشب انفجر من أسفل لأعلى .. هل كانت هناك قنبلة وانفجرت ؟.. لو حدث هذا لكان الدمار أشمل ...

صوب ضوء الكشاف على الثغرة ودقق البصر ...

لم يكن ما رآه مريحًا ... هناك شىء يتحرك بالداخل ...

شىء أسود مبهم لكنه يتحرك .. هل فئران ؟... لا ... ليس بهذا الحجم ...

يجب أن يبتعد .. يعود للسيارة الآن .. لم يعد بوسعه عمل شىء ، وبالطبع أغبى شىء يمكن القيام به هو النزول لفتحة بها شىء يتحرك ...

نزل من على المنصة ..

إن رأسه ليس على ما يرام .. ثمة بقعة سوداء فى مركز الرؤية .. موشك على الغثيان ...

إن ساقيه تنثنيان تحته .. يشعر بأنهما تذوبان ...

هو موشك على فقدان الوعى .. والسبب ؟

تلك النار فى بطنه تخبره بأن شيئًا ليس على ما يرام ... ربما هى الخمر مغشوشة أو مسمومة ..

سقط على ركبتيه ونظر للخلف وصوب الكشاف فرأى .. رأى ذلك الشىء الأسود ينزلق ليخرج من الفجوة على المسرح ببطء .. ينزلق كبقعة شحم كبيرة فوق الخشبة ... يتجه نحوه .. إنه فى حجم الكلب العملاق ، لكنه من ناحية المظهر أقرب لأخطبوط ... هناك شىء آخر يلحق به ... ثمة شىء ثالث ..

يمكنه الآن أن يعرف ما حدث منذ خمسين عامًا ، عندما قرر صاحب الملهى أن يخدر الزبائن .. دس لهم سمًا أو مخدرًا فى الخمور التى شربوها ، وعندما سقط كثيرون منهم فاقدى الوعى بدأت تلك المسوخ المنسية تخرج لتلتهم من تقابله ...

صاحب الملهى فعل ذلك عمدًا لأنه صار خادمًا لتلك المسوخ ، أو لأنه يخافها ، أو لأنه منها .. المهم أن مجزرة قد حدثت .. من لم يذوقوا الخمر أو احتفظوا بوعيهم فروا هاربين وأغلقوا المكان خلفهم ولم ينبسوا بحرف عنه بعد ذلك ...

بعد خمسين عامًا جاء من يوقظ هذه المسوخ بضوء الكشاف وصوت خطوات الأقدام ورائحة الخمر ...

بعد خمسين عامًا تذكرت مذاق البشر وقررت أن تستعيده ...

إنه يريد الفرار .. لكن قدميه لم تعودا من عظام وعضلات ولكن من جيلاتين .. يداه ليستا على ما يرام كذلك ...

إنه يسقط ويرى أول هذه الأشياء يقترب منه ... يجثم فوقه ..

فقط تمنى أن ينتهى الأمر بسرعة ، وأن يقوموا بتفجير البناية بالكامل عندما يزيلونها صباح الغد ..

تمـــــت

ـ 3 ـ

قال لى (مايكل شلسنجر) ذلك الموسيقار المفتقر للرجولة وهو يمسد على خصلات شعره فى نعومة :

ـ « أنت لا تعرف البلدة جيدًا يا بروفسور (إسماعيل) .. كيف تنطقون هذا الحرف (عين) ؟.. حناجرنا لا تقدر على نطقه لكنى لا أتصور أن تقدر أية حنجرة بشرية على ذلك .. إنه مؤلم .. مؤلم .. »

وراح ينفخ فى تأثر معبرًا عن ألمه .. ثم أردف :

ـ « أنت لا تعرفها جيدًا لهذا لا تعرف مسرح جمعية الشباب الجيلى .. ماجى حبيبة قلبى تعرفه .. ماجى الرقيقة الرائعة .. »

قلت له فى غيظ وأنا موشك على خنقه :

ـ « هلا بلغت الهدف من فضلك ؟.. لا تشتتنى بألف ملحوظة وملحوظة .. »

قال وهو يجفف العرق عن جبينه بمنديل حريرى :

ـ « كذا معشر الفنانين يا عزيزى .. وأنت لست منهم .. إنهم حساسون بشدة .. حساسون بفظاعة .. حساسون بجنون .. إن مزاجهم يتوتر بسهولة .. مثلاً أنت تكلمنى بغلظة ، لذا تبدل مزاجى ولم أعد راغبًا فى أن أحكى لك أى شىء .. »

وتهيأ للرحيل ، فنظرت لماجى مستغيثًا .. فهرعت هى نحوه وأمسكت بيده ، وقالت له كأنها تكلم طفلاً عنيدًا :

ـ « (مايك) .. حبيبى .. قل كل شىء من أجل ماجى العجوز السخيفة .. »

ـ « من أجل ماجى فقط وليس من أجل هذا السيد الأصلع الفظ .. »

القصة كما حكاها لنا وقد جاء يزورنا صباح اليوم فى القصر إنه يذهب كل ثلاثاء لعزف بعض المقطوعات والبروفات فى نادى الشباب هذا ، وهو ناد صغير يؤمه الشباب ، وتعد الموسيقا من أهم نشاطاته .. (مايكل) يفعل هذا على سبيل التطوع والتنازل . مسرح عتيق لا يليق به حيث هناك الكثير من العناكب والغبار ، لكن الفرقة لا بأس بها .. هواة لكنهم يحاولون الإجادة . هم يطالبونه بعزف التراث المتعفن مثل (موتسارت) و(شوبان) هذه المقطوعات التى عفا عليها الزمان .. بينما هو **Avant garde** أى سابق لعصره ..

كان غارقًا عصر ذلك اليوم فى عزف (ليست) على البيانو .. إنه يمقت (ليست) لكنه مضطر لذلك .. هنا سقط جسم عملاق من سقف الكواليس وتهشم على خشبة المسرح المتداعية بدورها .. كرااااش !!

أصابه الهلع وراح يصرخ بلا توقف ، حتى هدأوا روعه .. لقد كان حادثًا مؤسفًا .. إنه كشاف عملاق من كشافات المسرح قد انقطعت السلاسل والحبال التى تحمله ، ولو اتجه لليمين مترين لفقد الفن أهم عبقرى عرفه فى القرن العشرين ..

بعد ما هدأ انفجر فى نوبة غضب هستيرى على هؤلاء العجزة .. لقد فسد مزاجه تمامًا ولم يعد مستعدًا للعزف اليوم ..

مس (جلاديس) العجوز عازفة الكمان ومديرة الفرقة اعتذرت له كثيرًا جدًا ، لكنه قال لها فى أسى إنه لا يملك زرًا يضغط عليه فيصفو مزاجه ..

قال هذا وهو يأخذ معطفه ويلبس قفازيه ، ثم أوشك على الرحيل ، لكنه وجد أن الكشاف أحدث فجوة كبيرة فى خشبة المسرح ..

دنا لينظر إلى ما حدث من دمار .. و هنا ....

قاطعته على الفور ، وأنا أرتجف :

ـ « رأيت شيئًا مرعبًا داخل الفتحة ! »

نظر لى فى شك ، ثم قال :

ـ « نعم ... كيف عرفت ؟ »

- « أشياء سوداء تتحرك .. حجمها كالكلب الكبير لكنها تشبه الأخطبوط .. زلقة لزجة مقززة ! »

اتسعت عيناه أكثر ، وهتف :

- « أنت كنت هناك !.. ربما سمعت القصة ؟ »

قلت فى ثقة :

- « لا عليك .. ليست قصتى هى المهمة بل قصتك أنت .. ماذا حدث بعد هذا ؟ »

- « نصحتهم بأن يحضروا من يفهم فى هذه الأشياء .. هناك حيوانات قذرة تعيش تحت المسرح ولابد من إبادتها .. كلما تصورت أننى كنت أقف فوق هذه الأشياء وأنا أعزف ، شعرت بقشعريرة .. على كل حال لقد قاموا بإصلاح الأرضية لكن لم يجرؤ أحد على النزول أو معرفة كنه هذه الأشياء .. »

سألته ماجى :

- « ولماذا جئت لنا ؟.. هل نحن مختصان بالكائنات اللزجة التى تعيش تحت المسارح ؟ »

تقلص وجهه فى اشمئزاز كما يفعل كل ثلاث دقائق ، وقال :

- « ماجى يا حبيبة قلبى .. لا توجد مخلوقات كهذه على وجه الأرض .. ربما هناك تلك الـ ... الـ ... نسيت اسمها .. توجد فى تلك القارة .. أوه نسيت اسم القارة .. لكنها بشعة جدًا .. أتحدث عن تلك المسوخ .. هذه الكائنات كانت كائنات لا نعرفها .. إنها شىء خارق للطبيعة وقد خطر لى إن ضيفك الفظ الخشن هذا قد يملك إجابات .. »

ثم اقشعر جسده فارتجف .. لابد أنه تذكر منظرها ..

قلت له ، وأنا أضع ساقًا على ساق :

- « إنها جثث حية .. يبدو أن موسيقا (ليست) تعيدها للحياة .. أقترح أن تكف عن عزف (ليست) وتجرب (فاجنر) .. »

قال وهو ينهض متوترًا ويبحث عن معطفه :

- « أوه .. أوه .. سأتذكر هذا .. شكرًا لك على كل حال .. »

فلما غادر المكان وعرفنا يقينًا أنه انصرف ، نظرت لى ماجى فى عدم فهم ومطت شفتها السفلى :

- « ما رأيك ؟ »

- « رأيى أن هذا أكثر من قابلت من رجال فى حياتى إثارة للاشمئزاز .. »

ـ « هذا ليس جديدًا .. أتكلم عن تلك المسوخ التى تكلم عنها والتى تعبث تحت أرضية المسرح .. هذه تيمة رعب غريبة .. »

قلت فى انتصار :

ـ « لكنها فى مجموعة (ليمبو) .. اسمها (بعد خمسين عامًا) .. بالصدفة قرأتها مساء أمس .. »

ثم نهضت متحمسًا لا أعرف لأى شىء بالضبط ، لكنى متحمس بعنف :

ـ « لقد انتهى أى شك لدى .. (جوناثان دارتمور) له علاقة قوية بكل هذا .. سوف أزوره وأستجوبه .. ولا داعى لقول إنك يجب أن تكونى معى .. أعتقد أنه نسى من أنا بعد هذا الوقت .. »

ـ 4 ـ

ماذا تعرفين عن (جوناثان دارتمور) يا ماجى ؟

ليس الكثير يا (رفعت) .. هو كاتب رعب بدأ يظهر منذ عام أو عامين .. يعيش وحده ويقول إنه مطلق .. حقق شهرة لا بأس بها وأعمدة مراجعة الكتب فى الصحف البريطانية متحيزة له .. يحاولون أن يجعلوا منه (لافكرافت) بريطانيًا .. لكنى لا أعتقد أن هناك من يستطيع أن يكون (لافكرافت) .. (دارتمور) جيد لكنه لا يملك جذوة العبقرية ..

أعتقد أن هناك محاولة أو محاولتين لتقديم قصصه للسينما .. السينما الأمريكية طبعًا لأن البريطانية لا تقدر على هذه التكاليف ..

اكتشفنا أنه يقيم فى أنفرنسشاير ، وهكذا قمنا بزيارته وسرعان ما استطعت أن أضمه للمجموعة .. على قدر علمى هو رجل ظريف لطيف المعشر .. هادئ رزين لا يتميز بجنون باقى أصدقائى ، وهو أقرب للرقى ..

يميل للوحدة ويسهل أن تعرف أنك تزعجه عندما تزوره فى أوقات غير مناسبة .. هذا دأب الكُتَّاب جميعًا على كل حال ، فهم

يفضلون أن يختاروا اللحظة التى يخرجون فيها للمجتمع ولا يحبذون أن يأتى المجتمع لهم ..

هذا ما أعرفه عنه .. هل تريد شيئًا آخر ؟

* * *

يعيش (دارتمور) فى بيت ريفى جميل له حديقة غناء ، تصادف أن الشمس كانت تغمرها فى هذا الوقت مما زاد النبات خضرة والأزهار حمرة .. يطل هذا البيت من أعلى على مشهد رائع الجمال يكشف بحيرة (نس) .. لوخ نس بجمالها وغموضها ...

لو كنت فكرت أن كاتب قصص الرعب يعيش فى قبو وينام فى تابوت فأنت مخطئ على الأرجح .. هذا ما زادنى يقينًا من رأيى السابق .. الرعب حالة نفسية يستحضرها المرء فى أى مكان .. فإذا دوّنها على الورق صار (لافكرافت) أو (ستوكر) ، وإن أخرجها قولاً وفعلاً صار امرأة هستيرية ، وإن كتمها فى صدره صار مجنونًا ...

يستطيع (دارتمور) وهو جالس فى تلك الغرفة الأنيقة المطلة على الحديقة أن يستحضر جبه الخاص وقبوه الخاص عطن الرائحة ..

فقط كانت هناك علامة (صحية) واحدة هى تلك القطة التى راحت تتشمم ساق (ماجى) .. أنت تعرف أن الأطفال والحيوانات يلحقون بها ويبشون لها فورًا ، بينما يتشنج الأطفال عندما يروننى ويموتون .. انحنت (ماجى) والتقطت القطة الجميلة وراحت تداعبها :

- « يا لك من فتاة بدينة حسناء !.. ماذا يطعمونك هنا ؟.. كولستيرول ؟ »

واقتربت من مدخل البيت ، لكن القطة أصدرت فحيحًا غاضبًا وخدشت يد (ماجى) فاضطرت أن تطلق سراحها ..

قلت فى رضا :

- « هذه أول علامة على أن المكان ملعون .. كدت أشك فى نفسى ! »

بعد قليل وجدنا أننا نجلس فى غرفة مكتب مريحة تغمرها الشمس من نافذة تشغل جدارًا بأكمله وتطل على الحديقة . هناك مكتبة واسعة وهناك مكتب عتيق الطراز وآلة كاتبة وكومة من الأوراق .. بينما جلس (جوناثان) أمامنا يرمقنا فى تساؤل ..

كما قلت من قبل ، كان الرجل فى الخمسين له وجه هادئ مريح يوحى بالثقة والرضا عن النفس .. عيناه تشعان ذكاء ..

له رأس أصلع ولهذا يتهدل ما بقى من شعر علـى جانبيـه طويـلاً ناعمًا يغطى كتفيه على طريقة (شكسبير) .. وكانت رقبته تطل من ياقة بول أوفر زيتى اللون ...

هناك جو عام من السلام يحيط به ، فليس من تلك الشـخصيات العصابية الفنية التى تنتحر كل ربع ساعة .. لكنـه بـدا متضايقًا لأننا قاطعناه ...

قلت له فى كياسة :

ـ « إن شرح سبب مجيئنا يطـول .. لكن لـدى انطباعًـا معينًـا هو أن قصصك كلها تحمل جزءًا من الواقع .. »

هز رأسه محاولاً أن يتابع ، فقلت :

ـ « صديقكم (أنتونى كارلستون) مات محترقًا فـى فراشـه .. كل شىء يوحى بأن حمضًا أحرقه حيث هو ، والشرطة مـا زالـت لا تفهم ، وتتهم زوجتـه الجديـدة .. الحقيقـة أنـك وصفـت قصـة مشابهة تمامًا فى قصة (قطرات) .. »

هنا تدخلت (ماجى) :

ـ « يحكـى لنـا د . (هيرتفورد) عن مريضـة مـن مريضاتـه واجهت جثثًا متحللة تخرج من المستنقع .. ألا ترى أنـك وصفـت

شيئًا مماثلاً فى قصـة اسمها (ماكيـاج) ؟.. ومـاذا عـن (أربعـة مقاعد) ؟ أنا و(رفعت) واجهنا دار سينما بها أربعة مقاعد محجوزة للأبد وعرضًا خاصًا للأشباح بعد انتهاء حفلات العرض .. »

اتسعت ابتسامته أكثر ، فقلت أنا :

ـ « مسرح الشـباب الجيلى وجـد كائنـات رخـوة مبهمـة تحـت خشبته .. هل تتذكر قصة (بعد خمسين عامًا) ؟ »

قال بشكل عابر :

ـ « بصراحة قد نسيتها .. »

قلت فى بساطة :

ـ « هناك كائنات رخوة مبهمة تحت خشبة المسرح .. »

ـ « آه .. هذا مثير .. »

قالت (ماجى) لتخفف الجو العدائى الذى بدأ يتضح بسرعة :

ـ « بصراحة يا (جوناثان) إما أن تكون عبقريًا وإما أنـك تعرف هذه الأساطير من قبل وكتبت عنها .. »

أضفت أنا ، وأنا أنظر فى عينيه :

ـ « أو أنت تتنبأ .. لكـن لا يوجـد احتمـال شـاف بالكـامل بين هذه الاحتمالات .. »

هذه المرة بدأ وجهه يتبدل فعلاً .. تلاشت البسمة الهادئة وحل موضعها تعبير ينم عن الألم والمعاناة .. نهض واتجه للنافذة ووقف يرمق الحديقة فى صمت ، وقد وضع يديه فى جيبيه .. تبادلت و(ماجى) نظرة غير فاهمة ..

بعد فترة حسبتها دهرًا قال:

ـ « أعتقد أنه لابد من أن تفهمانى أفضل .. أنا إنسان معذب .. الكتابة هى الطريق الوحيد حتى لا أفقد صوابى .. إننى أفرغ الصديد على الورق كى لا يأكلنى من الداخل .. »

* * *

قال (جوناثان دارتمور) :

بعد حادث السيارة الذى أصابنى قال الأطباء إن خللاً معينًا حدث فى دماغى .. خللاً لا يعرفون كيف يسمونه لكنه واضح فى تخطيط المخ الكهربى ..

لم أدرك الحقيقة إلا متأخرًا .. لقد صرت قادرًا على رؤية البؤس فى العالم .. رؤية الشر فى العالم .. رؤية الخطر ..

بدأ كل شىء بعد أسبوع من مغادرتى المستشفى .. كنت نائمًا فى غرفتى ، ثم صحوت من النوم .. وجدت الغرفة تعج بكائنات

لم أرها من قبل . مسوخ .. شياطين .. أشياء لا يمكن تسميتها .. لم أعرف من قبل كم أن العالم مزدحم من حولى بهذا الشكل .. رحت أصرخ وأركض .. فى كل خطوة كنت أصطدم بمسخ أو كابوس ..

فى النهاية فقدت الوعى ..

كنت متزوجًا فى ذلك الحين وقد تحاملت زوجتى على نفسها عامًا ثم طلبت الطلاق بسبب حالتى النفسية . كانوا يعتبروننى مجنونًا لكنى كنت أدرك أن الحادث جعل بصرى أكثر حدة .. صرت أرى ما لا يراه سواى ..

يمكننى أن أقف فى النافذة ليلاً لأرى القبور التى يحاول شىء ما أن يزحزح غطاءها .. أسمع عواء المذءوبين فى الوديان .. ألقى بنظرة ثاقبة فأرى القتلة فى الأزقة يتربصون بالأبرياء .. أرى المغول يذبحون ضحاياهم فى بغداد .. أسمع صرخات المسيحيين الذين تلتهمهم الأسود فى روما .. أرى تيد بوندى يهشم رأس فتاة بقضيب مطاطى .. أرى إد جين يلتهم امرأة أخرى .. أسمع خطوات مصاص دماء يزحف نحو غرفة فتاة غافلة .. أشم رائحة الدم المسفوك .. أشم اللحم المحروق .. كل هذا أراه وأسمعه وأشمه .. فى الخارج .. فى حديقتى .. فى غرفة نومى ..

لقد صرت قادرًا على رؤية كل الشر فى العالم والإحساس به ..

لهذا قررت أن أجلس وأكتب ..

أكتب عما أراه حتى لا أجن ..

منذ تلك اللحظة كتبت عشرات القصص ، وفى كل مرة كنت أشعر بأننى أفضل .. استطعت أن أتحكم فى هذه المشاهد المخيفة فلا أراها إلا عندما أريد .. لقد نجحت الكتابة فى أن تنقذ عقلى ، ومن الغريب أن هذا الصديد المرعب راق للناس فابتاعوه وصرت كاتب رعب شهيرًا ..

حقًا أعرف ما فعله (كارلستون) مع زوجته ، وأعرف كيف طارده ذلك الحمض .. رأيت كل هذا رأى العيان .. قبل أن يحدث ..

أعرف قصة السينما وأشباحها ..

أعرف كل شىء عن المسرح الذى تعبث كائنات منسية مخيفة تحت خشبته بانتظار لحظة الخروج ..

أعرف المستنقع الذى يخرج من غرقوا فيه ليهاجموا الأحياء ..

كتبت عن هذا كله لأننى رأيته رأى العين .. لم يكن لى فضل أكثر من صحفى فى جريدة يصف حادث سيارة رآه .. لكن الناس لم تكن تعرف أن هناك حوادث سيارات ، وقد لقبونى بالعبقرى لأنهم اعتبرونى ابتكرت هذا اللون من الأخبار ..

من حين لآخر أجرب أن أعتمد على نفسى .. أن أكتب قصصًا مرعبة لم أرها ولم تنقلها بصيرتى المخيفة .. من الغريب أن هذه القصص تخرج ركيكة سخيفة ولا تروق لأحد ..

الآن أنتما تعرفان سرى .. لم أكتمه عن الناس كى أتظاهر بالعبقرية ، ولكن كتمته حتى لا يقال إننى مجنون .. لقد فقدت زوجتى بسبب هذه الموهبة ، ولا أريد أن أفقد حريتى كذلك ..

* * *

نظر لساعته ، ثم قال معتذرًا :

- « سوف أطلب منكما الانصراف ؛ لأننى بانتظار زيارة من د. (هيرتفورد) .. لا تنسيا أنه صديق لى كذلك .. »

واتجه لآلته الكاتبة وبدأ يكتب بسرعة جنونية غير مبال بوجودنا ...

عندما غادرنا داره كنا صامتين ..

فقط وقفنا لحظة أمام سيارة ماجى نفكر فيما قال .. ومن بعيد رأينا سيارة تقترب .. واضح أنها سيارة الجراح البريطانى الكبير .. لماذا جاء ؟.. هل لديه شكوك هو الآخر ؟.. بل هو يملك شكوكًا لكن كنت أحسبه لا يبالى باستقصائها ..

قالت لى (ماجى) :

ـ « ما رأيك ؟ »

قلت وأنا أفتح باب سيارتها وأنظر نحو الرجل الذى وقف خلف زجاج نافذته هناك من بين أغصان الشجر والنباتات يرمقنا فى ثبات :

ـ « لا أعتقد أنه صادق ...! »

ـ « والسبب ؟ »

ـ « لا أدرى .. لكنى أشعر بذلك .. »

فليمنت مصاص الدماء

بقلم (جوناثان دارتمور)(*)

(*) غير منشورة .

إنهما يتقدمان فى الظلام قاصدين المقبرة ..

الفتاة نحيلة حساسة مذعورة ، والرجل متقدم فى العمر قضى حياته فى هذه الأمور ..

هى (سامانتا) وهو (جورج ملفيل) .. الوريثة الحسناء المذعورة والرجل الوقور الخبير فى الأشباح .. يحمل فى يده الوتد والبلطة وتحمل هى كيسًا فيه ثوم ..

سوف يغرسان الوتد فى قلب مصاص الدماء ، ثم يحشوان فمه بالثوم ويقطعان الرأس ..

مغامرة رهيبة ، ومن الصعب أن تتحمل الفتاة ما سوف تراه لكن الرجل لا يثق بأحد آخر لأنه يحبها .. دعك من أن صحته سيئة فعلاً ولن يستطيع أن ينجز المهمة وحده ..

منذ عرفت (سامانتا) أن ذلك الوحش يرقد فى مقبرة أسرتها ، وهى تعرف أن عليها أن تتخلص منه .. كانت هناك جثة ثم جثة أخرى وجدها الناس قرب المقابر .. وقد كثرت الشائعات ، لكن أحدًا لا يؤمن بوجود مصاصى الدماء لذا راح رجال الشرطة يبحثون عن سفاح مخبول ..

كانت قلقة .. تشعر أن هذه الحوادث تلوث أسرتها بشكل ما وإن لم تعرف كيف ، وقد أفضت بمخاوفها لصديقها العزيز

(ملفيل) ... أعطته بعض الأوراق الخاص بالأسرة كى يدرسها ويعطيها رأيًا ..

اتصل بها بعد يومين وقال لها :

ـ « أنت تعرفين طبعًا أن هناك مصاص دماء فى مقابر أسرتك .. »

ـ « مصاصو الدماء خرافة تجلب المال لصناع الأفلام .. »

ـ « هم كذلك يمتصون دماء العابرين قرب مقبرة أسرتك .. يجب أن تقبلى هذه الحقيقة .. »

عندما زارها كان يحمل الأوراق التى درسها بعناية ..

اللورد (كليرستون) رجل ثرى .. له عادات غريبة وطباع شاذة خوفت الناس منه .. هناك من زعم أنه يعبد الشيطان ، وهناك من قال إنه محروم كنسيًا منذ زمن .. مؤخرًا توفى اللورد ودفن فى مقابر الأسرة باعتباره قريبًا لها ..

منذ متى دفن ؟.. منذ شهرين ..

منذ متى وجدوا أول جثة ؟.. منذ شهرين أو أقل .. ربما شهرين إلا ثلاثة أيام على الأرجح ..

لماذا كانت الجثث بيضاء كالثلج وبلا نقطة دم واحدة ؟

ما سر نظرة الرعب المريعة على الوجوه ؟

هكذا طلب منها أن تخرج معه إلى المقبرة .. كان الوقت ظهرًا لكن الأمطار بدأت تنهمر بلا هوادة ، وقد فكرت الفتاة فى العودة لكنه جعلها تضع معطفه على رأسها وتقدم معها نحو المقبرة .. نحو قبر اللورد بالذات ..

أشار إلى الشاهد وإلى النباتات التى تغطى القبر ، وقال لها :

ـ « هل تلاحظين اختلاف نمو العشب هنا ؟.. هل تلاحظين اختلاف التربة ؟.. ما الذى ينقصنا كى ندرك أن القبر يفتح ليلاً ؟.. بالتأكيد لم يظل على حالته منذ الدفن .. »

لقد انهمر المطر بغزارة ليلة أمس ..

هل ترين هذه الآثار التى يوشك المطر الجديد على أن يمحوها ؟.. هذا الحذاء الذى يخرج من القبر متجهًا إلى مخرج المقبرة ..

يجب أن تصدقى أن اللورد (كليرستون) مصاص دماء .. لقد مارس فى حياته الطقوس التى تمنحه هذا الخلود المحرم ، وعلينا أن نقتله الليلة ..

* * *

لهذا يتجهان فى الظلام نحو القبر ..

بعد قليل سوف ينهض مصاص الدماء وسوف يكون الموقف مرعبًا ، لذا يجب أن يفعلا كل شىء بسرعة ..

سألته وهى ترتجف :

ـ « لماذا لا ننتظر حتى الصباح ؟ »

ـ « لأن مصاص الدماء يكون فى أوهى حالاته قرب الاستيقاظ .. هذه قاعدة قديمة .. »

ووضع الكشاف الكهربى فى موضع يسمح بإضاءة مسرح العمليات ..

كان القبر مغلقًا بإحكام .. أولج نصل البلطة تحت طبقة الوحل وراح يجاهد حتى استطاع أن يزيله .. هذا هو الغطاء ..

قالت له فى حيرة :

ـ « لا أفهم .. كيف يخرج كل ليلة والقبر مغلق بهذا الإحكام ؟ »

ـ « لمصاصى الدماء قوى غير عادية ... هذا شىء معروف .. »

ثم أزاح الغطاء لاهثًا ..

ظهر اللورد فى رقدته الأبدية .. بذلته الأنيقة السوداء ويداه على صدره كمومياوات الفراعنة .. لا دماء على شفتيه على كل حال وقد سرها هذا ...

ـ « استجمعى أعصابك .. »

ثم أولج الوتد بقـوة فـى صـدر اللـورد فشـهقت الفتـاة وأبعدت عينيها ..

- « ناولينى البلطة .. »

وقطع الرأس ثم فتح الفم ودس فيه الثوم ...

ثم راح (ملفيل) يلهث وهو ينهض :

- « لقد نال الراحة الأبدية .. أنا موقن من هذا .. »

وطلب منها أن تساعده فى إعادة الغطاء .. وبـدأ يعيـد الوحل إلـى مكانـه .. لـن يتهمـه أحد بقطـع رأس جثـة ، لكنـه لا يريـد شوشرة على كل حال ...

أخيرًا وقف وقد آلمه ظهره .. كان بحاجـة إلـى النـوم فعـلاً .. ولكن ...

هفه هفه هفه ...

لماذا تلهث الفتاة بلا انقطاع ؟

هفه هفه هفه ...

سألها فى الظلام :

- « هل أنت موشكة على الإصابة بانهيار عصبى ؟ »

لكنها تلهث ولا ترد ...

فى الضوء الخافت تستدير نحوه ..

ما سر هاتين العينين الحمراوين ؟.. لماذا لم تعد لهـا حدقتـان ؟.. كأن كرتى عينيها تحولتا إلى ثمرتى طماطم .. لماذا تبرز أنيابهـا من فمها ؟

قالت بصوت كالفحيح :

- « أشكرك على هذه الفرصة ! ... كنت أريد أن أكون وحدى معك فى المقابر ليلا .. لقد أتيحت لى الفرصة ..! »

نظر لها فى غباء ، فأردفت :

- « ألـم تفهـم بعـد يـا أحمـق أن هـذه القصـة ملفقـة ؟.. كـل الأوراق التـى تحكـى عن اللورد مصيدة للحمقى ؟.. آثـار الأقدام ... آثار العبث فى القبر .. كل هــذا لاستدراجك هنـا .. الضحيتـان سقطتا بأنيابى أنا !! »

- « أنت مصاص دماء ؟.. منذ متى ؟ »

- « منذ شهرين !!!.. لقد أصابتنى تلك اللعنة لكنها لم تقتلنى ! »

ثم أصدرت فحيحًا حقيقيًا .. فحيحًا جديرًا بأفعى ...

كان رد فعله سريعًا ...

رفع البلطة عاليًا ..

هوى على عنقها وهى تنظر له فى توحش .....

ترى هل يقتلها أم تقتله ؟.. لنترك الإجابة عن هذه الأسئلة للأقدار !

تمت

- 5 -

يمكننا أن نرى بحيرة (لوخ نس) من بعيد فى الظلام ...

لشد ما بدت رائعة فى النهار ، ولشد ما بدت مرعبة فى الليل ..

لقد رحلت سيارة (جوناثان دارتمور) منذ دقائق فهو مدعو لذلك الحفل لدى الرسامة العصابية إياها السترى ديلان .. رأيناها تبتعد وسط أضوائها كالشبح ، هناك حيث وقفنا بين الأشجار ... (ماجى) كانت تعرف هذا الموعد طبعًا قد اعتذرت عنه ..

همست (ماجى) وهى ترتجف :

- « هل نتحرك ؟ »

- « أعتقد ذلك .. »

- « هل هذه المغامرة ضرورية ؟ »

- « أعتقد ذلك .. »

- « ما زلت تشك فى قصته ؟ »

- « أعتقد ذلك .. »

ثم أضفت وأنا أمسك بيدها خارجين من بين نطاق الأشجار :

ـ « قصته عن الرجل الشفاف الذى صار يرى كل الشر فى العالم فلسفية جميلة .. تصلح لقصة من قصص (جوته) لكنها لا تروق لى . أنا أعرف يقينًا أن فى أوراق هذا الرجل ما يزيل بعض الغموض حول شخصيته .. ثم لماذا خاف القط لهذه الدرجة من الاقتراب ؟.. أنا تعلمت أن حاسة الحيوانات لا تخطئ أبدًا .. هى ليست فى غبائنا وضيق أفقنا .. »

وأخرجت السكين الضخمة التى جلبتها معى كى أفتح بها النافذة .. من حسن الحظ أن هذه البيوت الأسكتلندية هشة جدًا سهلة الاقتحام .. قالت (ماجى) :

ـ « تذكر أننا لو سقطنا فى فخ ما أو قابلنا أحد ، فلن نستطيع أن نقنعه بقصتك هذه .. بالنسبة للشرطة نحن لصان .. لا توجد مسميات أكثر لطفًا .. »

ـ « أعرف هذا .. لو قبضوا علينا سأؤكد أننى أرغمتك بتهديد السلاح على مرافقتى .. »

ـ « وأنا سأنكر كلامك .. »

كنا نمشى فى الظلام .. هى جوارى .. سمعتها تقول لى فى شىء من دلال :

ـ « لا أحب هذه الطريقة .. أنت تتصرف كجنتلمان دومًا .. »

ـ « آسف .. »

غريب أنها تعتبر مشيى جوارها وقاحة .. إنها غريبة الأطوار .. سمعتها تقول فى الظلام:

ـ « (رفعت) .. ابعد يدك عن عنقى .. إنها باردة جدًا .. »

يدى ؟.. باردة ؟

نظرت لها فوجدت ذلك الغصن يلتف حول عنقها فى نعومة .. كان الطرف المدبب يفتش فى جشع عن الوريد الثرى هناك ..

هناك قصة نسيناها !.. تبًا !.. هناك قصة نسيناها .. (يوم الأشجار) !

قلت لها همسًا :

ـ « لا تتحركى .. »

هنا صرخت وقد انغرس ذلك الشىء المدبب فى لحم العنق ، وكان هذا هو الوقت المناسب كى أنقض على الغصن فأعمل فيه السكين .. أنتزعه بيد وأبتره بيد أخرى ... كان لينًا وقد انقطع على الفور .. فقط تدلى طرفه من عنقها والدم ينز منه فانتزعت ما بقى منه ..

هتفت وهى تمسك بعنقها :

- « ماذا يحدث ؟ »

- « قصة لعينة أخرى .. إن .. »

وهنا رأيت كل غصون الشجرة تتلوى كثعابين رأس ميدوسا .. كلها تتجه نحونا .. جذبت (ماجى) بعيدًا عن نطاق الأشجار ، وقلت لها :

- « يجب أن نبتعد عن أية شجرة .. إنها حية !! »

- « هل تمزح ؟ »

- « وتمتص الدم كذلك .. الكارثة أنها تتحرك فى القصة .. تنزع جذورها من التربة وتنتقل .. لا أعرف إن كان هذا سيحدث هنا لكن يجب ألا نفاجأ .. »

ورحنا نركض نحو البيت ...

نظرت للنباتات المحيطة بالنافذة فى رعب ، وخيل لى أنها تصدر فحيحًا غاضبًا .. جلست على الأرض أرمقها فى توتر .. ستكون الهجمة خاطفة مريعة .. يمكن التملص من غصن أو اثنين لكن ماذا عن عشرة أغصان ؟

كانت ماجى تجلس جوارى على الأرض وهى تتحسس عنقها .. لحسن الحظ لا توجد قطرة دم واحدة .. جميل هذا ..

لكن ...؟

ليس جميلاً لهذا الحد .. لقد كانت تنزف منذ عشرين ثانية ...

هفه هفه هفه ...

لماذا تلهثين ؟.. ما بك ؟

هفه هفه هفه ...

- « ماجى .. هل أنت بخير ؟ »

استدارت لى لأرى وجهها بوضوح ..

كانت عيناها حمراوين بلون الدم .. لا توجد كرتا عين بل هما ثمرتا طماطم .. تضغط على نابيها البارزين خارج شفتها العليا .. تضغط بقوة حتى سال الدم من شفتها السفلى ..

هفه هفه هفه ...

كدت أنهض راكضًا لكنها أمسكت بمعصمى بقبضة حديدية وألقت بى على الأرض .. كنت فى قبضتها كطفل فعلاً .. وهى تتسلق صدرى لتجثم فوقه .. خفيفة الوزن لكنها سريعة الحركة ..

السكين معى .. لكن .. مستحيل .. فلأمت إذن ...

- « (ماجى) .. استعيدى وعيك ! »

هفه هفه هفه ... شفتاها قرب عنقى بالضبط ...

- « ماجى .. أنت تحبيننى .. أعرف هذا .. أنت لن تمتصى دماء (رفعت) .. »

هفه هفه هفه ...

- « ماجى .. أنا أحبك للأبد .. حتى تحترق النجوم وحتى ... أرجوك .. إن للحب قوة كاسحة .. الحب يهزم السحر والشياطين والمسوخ .. قاومى هذا الشر ! »

هفه هفه هفه ...

- « إن خلاياك لم تصر شريرة كلها .. ما زلت ماجى الرقيقة التى تمشى على العشب دون أن تثنى عودًا واحدًا .. ماجى .. لن تكون نهايتى بيدك .. »

ثمة شىء .. شىء إيجابى ..

لقد همدت قليلاً ... ثم نهضت عن صدرى .. ورأيت أن الدم يسيل من الثقب فى عنقها .. غريب أمر الدم .. سائل مخيف لكنه يعنى الحياة والأمل ..

جلست تحدق فى الفراغ غير فاهمة .. تلك النظرة الغبية الخاوية التى تصاحب الانهيار العصبى ، ثم نظرت لى .. عندها عرفت أنها عادت كما كانت ....

(ماجى) .. (ماجى) ...

كانت دامعة العينين ترتجف ، وهمست :

- « ماذا حدث ؟ »

قلت وأنا أنهض وأمد يدى أساعدها على النهوض:

- « لا شىء .. هجوم الأشجار جعلك تفقدين الوعى لثوان .. »

ثم رحت بسرعة أحاول فتح النافذة بنصل السكين .. لم أنس أن أنظر خلفى من حين لآخر ؛ لأن الخطر كان من جميع الجهات هذه المرة .. (مينا) التى بدأت تتحول وهى تجلس فى الظلام فى قلب دائرة الطبشور مع (فان هلسنج) .. هكذا صار الخطر ينتظره داخل الدائرة وخارجها .. من الوارد أن تعود ماجى كما كانت فى أية لحظة ....

انفتحت النافذة فوثبنا للداخل حيث غرفة المكتب التى التقينا فيها بـ (جوناثان) ...

جلست (ماجى) على الأريكة لأن وعيها لم يكن قد عاد بعد .. كانت مخلخلة فعلاً .. بينما رحت على ضوء الكشاف أقلب الأوراق على المكتب وأتصفح الملفات ..

ما هذه الكتابة ؟... هذه الشخبطة غير المفهومة .. هل تعرفين هذه اللغة يا ماجى ؟.. هل تمت بصلة للغاتكم الجيلية العجيبة ؟

هزت رأسها أن لا ..

الأمر جلى إذن .. هذا الرجل يمارس السحر أو على اتصال به ..

أما القصة الموجودة فى ملف جوار الآلة الكاتبة فما اسمها ؟.. (فليمت مصاص الدماء) .. قرأتها بسرعة على ضوء الكشاف وأنا واقف .. هذه هى القصة التى بدأ كتابتها عندما أنهى مقابلته معنا ..

ألقيت بالأوراق وصحت فى (ماجى) :

ـ « فهمت كل شىء .. لقد كتب هذه القصة لنا خصيصًا .. هذا الرجل لم يكتب ليصف الهول فى العالم كما قال .. إنه يصنعه !.. إن ما يكتبه فى قصصه المرعبة يتحقق حرفيًا ! »

ـ 6 ـ

لم أنتظر لأعرف أكثر ..

اتجهت للمدفأة فى الركن ، فجلبت زجاجة من سائل الإشعال ، وسكبته على كل شىء وجدته على المكتب .. على الأوراق .. على الملفات .. على الآلة الكاتبة . تساءلت (ماجى) لماذا أفعل ذلك ، فقلت لها :

ـ « سأحرق كل شىء .. لا أعرف نفع هذا لكنه على الأقل يتلف سياق أفكاره .. »

كليك !

سطع الضوء مبهرًا فأعمى عيوننا وشهقت .. وثبت من موضعى فسقط بعض الورق على الأرض ، على حين ظلت ماجى تنظر إلى القادمين فى ثبات .. ببرود إنجليزى تعرف كيف تستحضره متى شاءت ..

على الباب وقف د. (نورمان هيرتفورد) بمنظره الوسيم الوقور .. (ركس هاريسون) فعلاً بلا زيادة أو نقصان .. جواره يقف (جوناثان دارتمور) يبتسم بدوره ..

قال د. (هيرتفورد) :

ـ « هل حقًا حسبتما أننا بهذه السذاجة ؟ »

قلت فى حيرة :

ـ « أنتما ؟.. هل أنت متأكد من أنك تستخدم ضمير المتكلمين (نحن) وليس ضمير الشخص الثالث (هو) ؟ »

ابتسم طويلاً .. ثم .. لا أعرف إن كانت ملامحه تغيرت أم لا .. فجأة صار التشابه قويًا جدًا وعرفت أننى أغبى إنسان عرفته فى حياتى ..

الصوت الببرى القوى والنظرة النفاذة .. لا يلبس ذات الثياب لكن بذلة السهرة السوداء الأنيقة جعلت التشابه أقوى ... ثم أنهى كل شىء عندما قال بإنجليزية ثقيلة لا علاقة لها بإنجليزيته الراقية السابقة :

ـ « الحق إننى بكما أسعد ، ولكما قلبى يطرب .. فى دارنا أنتما ضيفان عزيزان .. فلترحلا متى أردتما لكن أتركا لنا بعض ما تحملان من سرور .. »

د. (لوسيفر) !

قلت وأنا أتراجع للخلف ممسكًا بيد (ماجى) :

ـ « إذن لهذا جئت لماجى وحكيت قصة الغرقى الذين يغادرون المستنقع .. كنت أنت صاحب الاقتراح أن ما يكتبه (جوناثان) يتحقق .. كنت تعطى تلميحًا من تلميحاتك الشهيرة .. »

ـ « بالطبع .. عبثًا أحاول أن أنقل الحقيقة لعقولكم البالية ، لكن الحقيقة كالمحيط لا يمكن أن تملأ به الدنان .. أبغى المعذرة فقد نسيت أن أقدم لكما ابنى ! »

كانت المفاجأة غير عادية ..

(جوناثان) ابن (لوسيفر) شخصيًا !

ـ « بهذا الاسم الأرضى لا ندعوه هناك .. ندعوه (خيرياسوس المدوّن) .. سجين (ليمبو) .. لقد منح هبة صغيرة هى أنه يخلق المصائب بما يكتبه .. إن ما يخطه يفعم الكون بالشرور .. ودعنى أؤكد لك أيها الفانى أنه خصب خياله متجددة كلماته ، لكنه واه ضعيف التكوين لا يقوى على أن يحيا بين مسوخ جانب النجوم وغطاريفه العظام .. أمرًا أمرته أن يرتحل إلى عالم الفانين .. فى جانب النجوم ليس مكانه وإنما بينكم .. لو كانت فتاتك البلهاء تعرف أبعد من أنفها لأدركت أن كلينا لم يوجد فى محيط معارفها إلا منذ عام أو عامين .. صار لنا ماض ووجود واسم .. عامدًا اخترت هذا الموضع لأننى أنتظرك .. ولأننى أعرف يقينًا أنك آت وأنك ستدس أنفك اللزج فى هذه القصة .. »

ثم أردف فى توحش :

ـ « وقد فعلت ! »

قلت له وأنا موشك على الصراخ :

ـ « دعنى أرتب أفكارى .. أنت جئت لهذا العالم بابنك لأنه يجيد كتابة القصص التى تتحقق .. ولأنه أرق من أن يوجد فى جانب النجوم .. أى إنك جئت به هنا كى يصنع مستقبله . وهو هنا بالذات على سبيل المشاكسة لى .. هل أسأت الفهم ؟ »

ـ « ساذجة كلماتك لكنها إلى الحقيقة أقرب .. »

ثم رفع يده بحركة مسرحية إلى السقف ، وصاح بصوت ارتجت له الغرفة :

ـ « هنا والآن ننهى صراعنا الطويل يا د . إسماعيل ..! »

كنت قد اتخذت قرارى .. أخرجت قداحتى وقربتها من الورق المبتل .. فى ربع ثانية انتشر الوباء الأصفر ليغطى كل شىء .. وارتفعت ألسنة اللهب إلى السقف وتمسكت بالستار فهوى ..

كنت أجر (ماجى) جرًا مسرعين نحو النافذة المفتوحة ..

الحديقة المظلمة والأشجار التى تتلوى محاولة الفوز بنا .. ومن خلفنا سمعت (لوسيفر) يصرخ :

ـ « لقد أحرق أوراقك يا (خيرياسوس) ...! ... عليك به ! .. عليك بهما !! »

لا أعرف كيف وجدنا نفسينا فى سيارة ماجى .. كانت تقود بجنون لم أعهده من قبل ، وقد نظرنا للخلف فرأينا ألسنة اللهب تتطاير من النافذة نحو قمم الأشجار .. أغصان تحترق .. أقسم أنها كانت تصرخ صرخات شنيعة كأنها البشر ..

ـ « هل يمكن أن يكونا قد احترقا ؟ »

ـ « هما من الشياطين .. لابد أن هذه النيران نوع من النسائم المحببة .. »

السيارة تنطلق فى الشوارع الخالية المظلمة .. نفس ما حدث وأنا مصاب بتلك النوبة القلبية .. لكن إلى أين نذهب ؟.. إلى أين ؟

قالت (ماجى) لى وهى تدير المقود بسرعة :

ـ « نحن على مقربة من نادى الشباب الجيلى .. سوف ندخل ! »

ـ « لكن .. »

على الفور أوقفت السيارة ثم وثبت منها وجرتنى من يدى جرًا .. وركلت البوابة لتفتحها ..

كانت تجرى وسط الحديقة الصغيرة المنمقة .. ثم مدت يدها تحرك المقبض بعنف فاستجاب على الفور .. يبدو أنه لا يوجد لصوص فى هذا العالم .. كل الأماكن مفتوحة ...

ـ « هل تعرفين هذا المكان ؟ »

ـ « كنت أغنى الكورال فيه فى مراهقتى .. »

إنها قاعة مسرح .. تصعد الدرجات التى تقود إلى الخشبة وتأمرنى بأن أصعد معها .. تجثو على ركبتها وتطلب منى أن أساعدها على ضوء الكشاف الخافت الذى تحمله هى ..

إنها تنتزع الغطاء الذى وصفه الموسيقار المخنث (شلسنجر) .. الغطاء الذى ثبتوه على عجل فوق الفجوة التى صنعها الكشاف الساقط .. بأظفارها ثم باستعمال السكين الذى أخذته منى نجحت فى انتزاعه لتظهر الفجوة واسعة رهيبة سوداء ...

ـ « هلم ساعدنى ! »

ـ « لا أستطيع .. إن قلبى يغنى أغنية البجعة .. »

جذبت بساطًا صغيرًا من ركن المسرح فوضعته فوق الفتحة .. ثم جذبتنى من يدها إلى الركن وهى تلهث بلا توقف ..

فهمت .. هذا إذن نوع من شراك الفيلة .. أرض تبدو مسالمة لكن تحتها حفرة عميقة ...

وقفنا فى الظلام نلهث بلا انقطاع .. شعرت بها تجذب مقعدًا وتشير لى كى أجلس لكنى رفضت ..

فى الظلام همست لى وهى تلهث مذعورة راجفة ، وأنفاسها الرقيقة تمس أذنى :

ـ « للأبد ؟ »

ـ « ماذا ؟ »

ـ « هل ستظل تحبنى للأبد ؟ »

قلت فى لهفة :

ـ « وحتى تحترق النجوم .. وحتى .... »

هنا سمعنا صوت خطوات ..

من نهاية القاعة يأتى (جوناثان) أو من كان (جوناثان) .. الآن قد كشف عن وجهه الحقيقى ..

(خيرياسوس المدون) .. سجين (ليمبو) .. كنت قد اعتدت هذه المسوخ من رحلتى لجانب النجوم ، لكنى لم أتوقع قط أن

يكون بهذه البشاعة .. وقد شهقت (ماجى) لأنها بالطبع لم تر شيئًا كهذا من قبل .. هذا شيطان .. لا يمكن أن تجد تسمية ألطف ..

تقدم نحونا فارتمت (ماجى) بين ذراعى وهى ترتجف ..

يصعد الدرجات ... ينظر حوله فى شك ..

ماذا لو كنا مخطئين ؟

إن أنفه ليس فى وجهه ولكنه يخرج من ممص طويل ينساب من بين شدقيه .. لهذا يتشمم الجو بلا توقف .. وعيناه تلتهبان فى ضوء الكشاف ... ربما تشعان نورًا لكنى لست واثقًا ..

ـ « لوسيفر العظيم .. أبى .. أمرنى أن أفنيكما .. وفناؤكما هو ما سأفعله .. »

ثم تقدم نحونا ببطء .. ببطء ...

هلم أيها الوسيم .. أرجوك لا تدر حول البساط .. إن هذا صعب على كل حال لأن البساط هو الطريقة الوحيدة للوصول لنا ..

« لكنه واه ضعيف التكوين لا يقدر على أن يحيا بين غطاريف جانب النجوم .. »

هكذا قال لوسيفر ، فهل يعنى هذا أن هناك أملاً ؟

لديه عادة بذيئة بعض الشىء لن أذكرها لأن هناك آنسات هنا .. هناك عادة أخرى لن أذكرها لأن هناك من يقل عمرهم عن ستة عشر عامًا ...

هكذا وقف يفكر ... ثم اتخذ قراره ..

مشى نحونا ...

مشى فوق البساط ...

لكنه لم يسقط ..!.. لقد ظل فى ذات المستوى .. لقد كنا حمقى حين حسبنا أن خدعة مصيدة الأفيال هذه يمكن أن تنطلى على شيطان ..

لكن (ماجى) كانت سريعة التفكير .. التقطت المقعد وطوحته بأعنف ما لديها من قوة فى وجه هذا المسخ المتشكك .. يبدو أن المفاجأة أفقدته صوابه ... أفقدته اتزانه وقدرته على الطفو .. هذا المشهد الخالد فى أفلام توم وجيرى ...

لقد هوى فى مركز الفجوة والبساط من حوله ...

وفى اللحظة التالية سمعناه يصدر أنينًا مكتومًا ... صوبت الكشاف نحوه فرأيت كائنات سوداء فى حجم الكلب الكبير لكنها أقرب إلى العنكبوت فى مظهرها .. كائنات لزجة مقززة تحيط به

وتمتصه .. كان كالغريق الذى تشبثت به قناديل البحر .. لم يصرخ ولم يصدر أى صوت .. فقط كان يخرج ثم يغوص .. يخرج ثم يغوص وفى النهاية توارى داخل الفجوة تمامًا ...

أعتقد أن (خيرياسوس المدوّن) .. سجين (ليمبو) قد انتهى .. والأجمل أنه انتهى على يد المسوخ التى صنعها خياله ..

قالت لى فى ذعر :

ـ « وماذا عن د. (نورمان) ؟ »

ـ « اسمه د . لوسيفر .. وأعتقد أنه لن يلحق بنا هنا .. سوف ينتقم ولكن بطريقة معقدة .. هو ليس من الطراز الفظ الذى يلتهم أعداءه فورًا .. »

وفى حذر نزلنا من على خشبة المسرح فارين من هذا المكان الرهيب ..

هل أدت وفاة (خيرياسوس) إلى موت مخلوقاته المتناثرة فى كل مكان ؟.. هذا شىء لا نجرؤ على معرفته ، فلن أجرب أن أفتح هذه الفجوة أو أستفز الأشجار أو أدخل تلك السينما لأجلس فى مقعد أمامى ...

هل مات حقًا ؟.. ربما .. لكن من الوارد جدًا أن يكون قد عاد إلى جانب النجوم ..

من المؤكد أن القصص المرعبة التى تتحقق قد توقفت ، وحرمت بريطانيا من مشروع (لافكرافت) الخاص بها ..

هاتى يدك أيتها الرقيقة وتعالى نغادر هذا الكابوس ...

خاتمة

ـ أنا (خيرياسوس المدون) قد انتهيت من هذه القصة ، والفاتيان يغادران خشبة المسرح بعد ما حسبا أنهما قضيا على .. إنهما متحابان تتشابك يداهما فى عناق كأنهما قهرا الموت وقهرا آدميتهما .. ولعمرى ما أغرب من يحسب الحب أهم من الخلود

هل راقت لك القصة يا أبى العظيم ؟

ـ أى بنى .. إنها جميلة .. قد بددت شيئًا من شعورى بالسأم فى ليالى الشتاء الطويلة . إن الفانى المدعو (رفعت) يحسب أنه يعيش حياته وخياراته .. ولا يعرف أنه مجرد شخصية فى قصة طويلة من قصصك ... وأنك تحركه كما تشاء ..

يروق لى والحق يقال غرور هؤلاء الفانين وغباؤهم ..

لو عرف أنه مجرد نقطة سوداء فى محبرتك المفعمة بالأفكار ، وأنك أوجدت له المسرح والأحداث وحبيبته البلهاء وكل هؤلاء الفانين .. حياته كلها منذ ولد مجلد تقرؤه على مسامعنا فى ليالى الشتاء فنضحك ..

الحق إنك لعظيم الموهبة أى بنى ..

(خيرياسوس) سجين (ليمبو) قد نال رضا سيده .. يومًا ما قد نحررك من (ليمبو) لتظفر بمرتبة أخرى ، لكن آمرك بأن تكتب المزيد .. إننى بقصصك أسعد ولها قلبى يطرب ، والمسوخ الآخرون هم من أجلى منتشون ..

صبوا لنا بعض الدم المختمر ، ولتسمعونا صرخات المعذبين فى أقبية (هيدز)... ولترقص الجثث المتحللة فى انتشاء .. إن لوسيفر والحق يقال راض ...

ـ فلتنتظر أى أبى حتى تسمع القصة التالية ، والتى لا يمكن أن يكتبها سوى ولدك (خيرياسوس المدوّن) ..

حكاية هى عن أغنية الموت .. أنت تحب أغانى الموت أى أبى العظيم .. (خيرياسوس) سيحكى لك عن أغنية موت ، ليست كأية أغنية ..

لكن هذه قصة أخرى ..

خيرياسوس
ليمبو

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفــاس
من فرط الغموض والإثارة



د. أحمد خالد توفيق

أسطورة شبه مخيفة

(ماجى) و(رفعت) ومرتفعات إسكتلندا ، وخليط غريب من الأحداث .. جثث تغادر المستنقع .. حمض يتحرك .. سينما تحرق المشاهدين .. كاتب قصصى مجنون ، وأديبة مخبولة ، وطبيب نفسى بارد ، وموسيقار عصابى .. قاعة ملهى مهجورة لسبب قوى جدًا .. كلب متحلل يجرى .. أشجار تمتص دمك ..
إما أننا جُننّا وإما أن هناك خيطًا ما يربط هذا كله .. إنها أسطورة شبه مخيفة ؛ لذا ثمة شبه أمل أن تروق لك ...

العدد القادم

أسطورة أغنية الموت





الثمن فى مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم